الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أحمد بن يحي الونشريسي – تيسمسيلت –

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

موسومة بـــ:

دراسة كتاب: آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي

- محمد بلوحي -

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبات:

- بوكليفة فتيحة
- جراح اسمهان

اشراف:

د/ شريف سعاد

لجنة المناقشة		
الدكتور	يعقوبي قدوية	رئيساً
الدكتور	شريف سعاد	مشرفا ومقررا
الدكتور	وسواس نجاة	عضوا مناقشاً

السنة الجامعية: 2020-2021

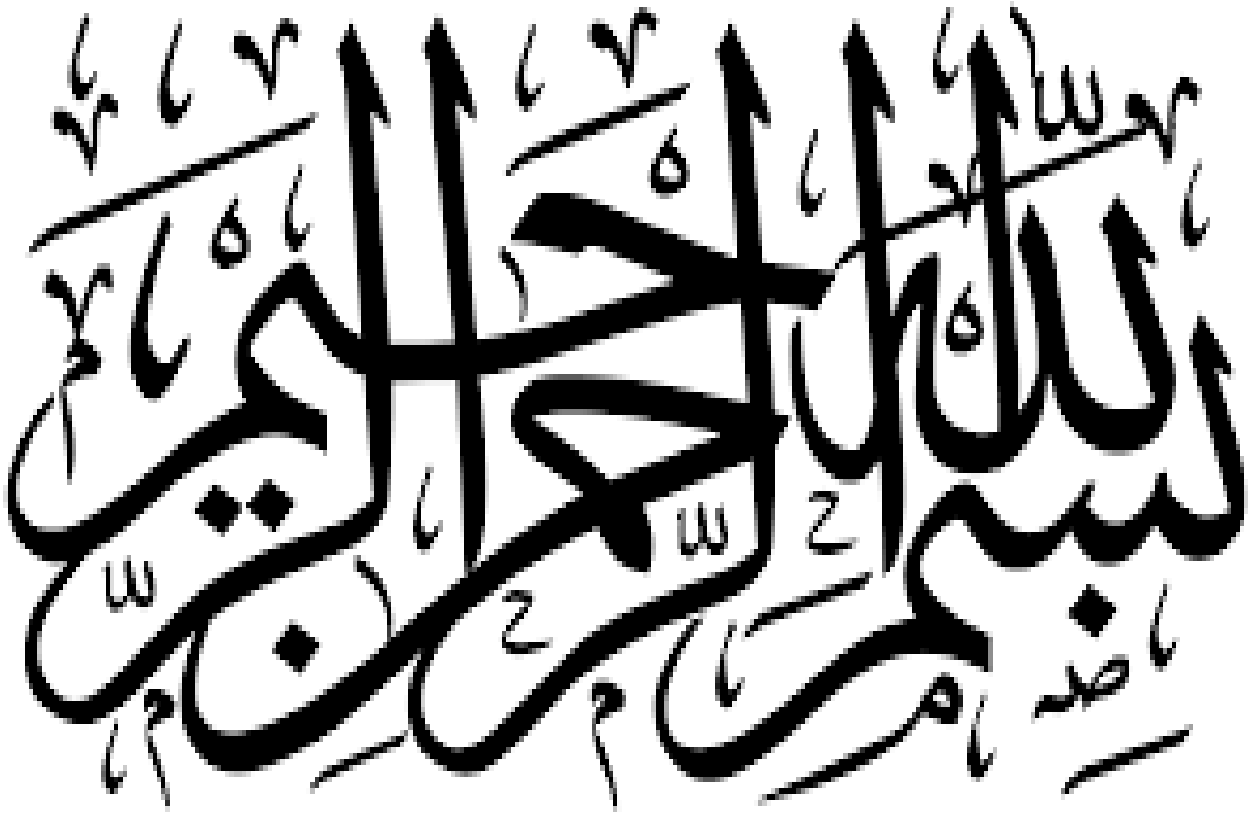
بسم الله الرحمن الرحيم

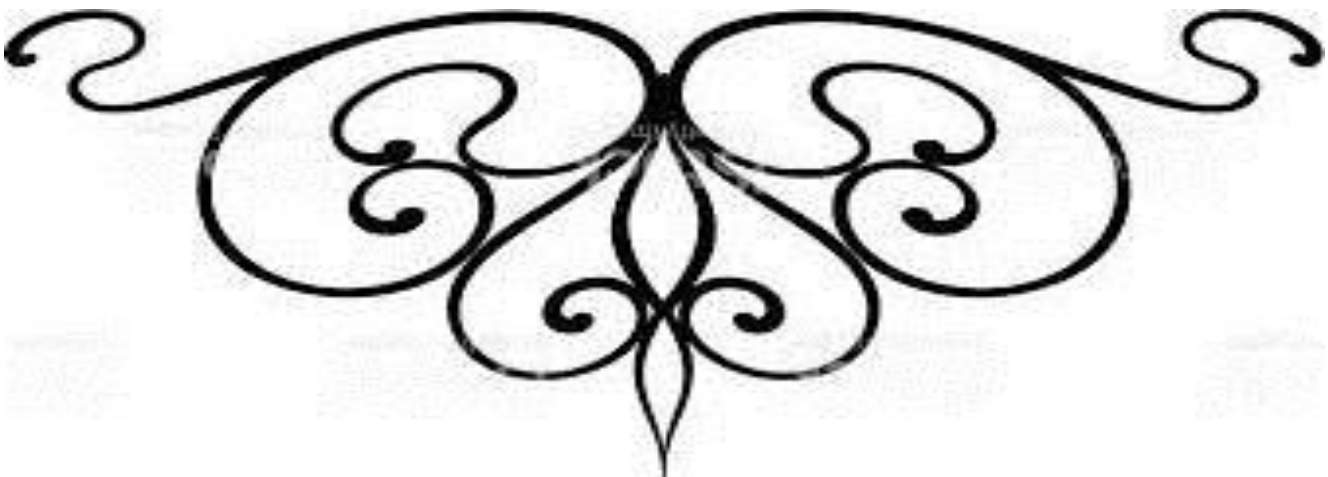

كلمة شكر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى [فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ] البقرة:152

ويقول أيضا: [وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ] البقرة:237

بعد الله ثم رسوله الكريم

نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من قدم لنا يد المساعدة لإنجاز هذا العمل

بدءا بالأستاذة المشرفة الدكتورة: شريف سعاد لما منحتنا إياه من نصائح قيمة وتوجيهات سديدة ولما لمسناه عندها من إخلاص كبير وحب صادق للعلم وطلاب

كما نتقدم بخالص الشكر إلى أساتذة الآداب واللغات وإلى زملائنا في تخصص أدب عربي قديم ماستر2 دفعة 2020-2021

إهداء

قال تعالى "وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"الإسراء24

صدق الله العظيم.

أهدي عملي هذا و ثمرة جهدي

إلى أمي الغالية شفاها الله وحفظها ومن كل سوء

إلى والدي العزيز وقرة عيني حفظه لله

إلى رفاق دربي إخوتي و أخواتي

محمد خيرة مغنية

إلى عصافير المنزل

نورالدين، آية منصورة، نورهان

إلى جميع أقاربي

وجميع أصدقائي و أحبابي

فطيمة، اسمهان، خيرة، نوال، عائشة، بختة، مباركة

إلى أصدقاء طفولتي

جميلة، حسيبة ،خيرة د ،صارة، فتيحة

مفتيحة

إهداء

قال الله تعالى: "وقضى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً "

لروح جدتي الطاهرة "فاطمة" رحمها الله وجعل قبرها روضا من رياض الجنة

إلى جدتي أم أمي أطال الله في عمرها

إلى من كلت أنامله كي يقدم لنا لحظة سعادة إلى من حصد الأشواكة عن دربي ليمهد لي الطريق العام إلى القلب الكبير والدي العزيز غالم رمز المثابرة والانتماء

إلى من بها أكبر وعليها أعتمد رمز استمراري الدنيوي إلى القلب الطيب الحنون حبيبة قلبي والدتي خيرة نموذج الحب والعطاء إلى القلوب الطاهرة والرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي إخوتي شيماء، شهرزاد، إسماعيل، سارة إشراق، فرح نور الهدى

إلى أعمامي وعماتي الذين أرى فيهم التفاؤل والحب والعطاء عمي الشيخ وعده وعماتي عائشة، عزيزة، خيرة.

إلى أخوالي الغاليين على قلبي خالي عبد الرحمن وعبد القادر. إلى بنات خالي الغاليات فتيحة، سعاد، فاطمة الزهراء.

إلى من تحلو بإخاء وتميز وبالوفاء والعطاء صدقاتي اللواتي لم تلدهن أمي فتيحة وإلهام.

اسمهان

البطاقة الفنية

البطاقة الفنية للكتاب

المؤلَّف :محمد بلوحي

المؤلف : آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي بحث في تجليات القراءات السياقية

دار النشر : من منشورات اتحاد الكتاب العرب

البلد : دمشق

السنة : 2004

الطبعة :د ط

حجم الكتاب :متوسط

عدد الصفحات : 196

التعريف بالكاتب:

هو محمد بلوحي من مواليد 08/18 /1960، بسيدي بلعباس، أستاذ بجامعة سيدي بلعباس، قسم اللغة العربية وأداباها ، شغل منصب عميد كلية الآداب واللّغات والفنون بجامعة سيدي بلعباس من 2012 إلى 2014

أهم مؤلافته

- الشعر العذري " دراسة في ضوء النقد العربي الحديث"
- الخطاب النقدي من السياق إلى النسق
- بنية الخطاب الشعري الجاهلي في ضوء النقد العربي المعاصر
- قضايا في النقد المعاصر

مقدمة

مقدمة :

يعتبر الشعر الجاهلي مادة أدبية ثرية أثارت الباحثين و الدارسين حول الظواهر والقضايا المتعلقة به واختلاف أراءهم حوله ،ولكن ما أجمعت عليه هذه الدراسات هو أهمية وضرورة الاهتمام به وإعادة قراءته ،فحاولوا دراسته وفق منظورات الخطاب النقدي العربي الحديث ووفق المناهج النقدية الحديثة بمستوياتها المختلفة قصد تحليل ظواهره ،وكتاب محمد بلوحي آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي قد حوى هذه القضايا النقدية المهمة

فكان الدافع لاختيارنا لهذا الكتاب لما كان له أهمية كبيرة في النقد كما أن الكتاب كان في مجال دراستنا وتضمن أهم القضايا التراثية، ولمعرفة مضمون الكتاب قمنا بطرح جملة من الإشكاليات أهمها ما يلي :

- ماهي أهم القضايا التي أثارها الكاتب في كتابه؟

- وكيف ناقش هذه القضايا التي أثارها الكاتب في كتابه؟ وما هو الجديد الذي جاءت به هذه القضايا؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات التي ذكرناها سلفاً اعتمدنا على المنهج التاريخي الذي يتخلله المنهج الوصفي المناسب لطبيعة الموضوع متبعين الخطة التالية :

- مقدمة: كانت بمثابة لمحة عامة حول الموضوع.
- بطاقة فنية
- مدخل: عتبات الكتاب
- الفصل الأول : تلخيص محتويات الكتاب
- الفصل الثاني : دراسة وتقويم

- وخاتمة : ختمنا هذه المذكرة برصد أهم النقاط المتعلقة بالموضوع.
- قائمة المصادر و المراجع
- الفهرس.

كما اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر و المراجع نذكر منها "ابن سلام الجمحي "طبقات فحول الشعراء، "طه حسين "في الأدب الجاهلي ،"ناصر الدين الأسد" مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية

ونشير إلى أنه اعترض طريق بحثنا في هذا الموضوع بعض الصعوبات والعقبات نذكر منها: قلة خبرتنا وضياعنا في عدم التحكم في المادة العلمية، واتساع الموضوع.

وفي الأخير نحمد الله حمداً كثيراً الذي بفضله أعاننا ووفقنا لإنجاز هذا العمل المتواضع وفي هذا المقام نتقدم بجزيل الشكر والامتنان والتقدير لأستاذتنا الدكتورة شريف سعاد التي رافقت البحث بالتوجيهات والنصائح فلها كل الشكر ،كما نتقدم بجزيل الشكر لكل من أعاننا في هذا المسعى.

تيسمسيلت يوم: 2021/0/0

بوكليفة فتيحة

جراح اسمهان

مدخل

تعد العتبات النصية من أساسيات كل نص فهي بطاقة العبور إلى الداخل من خلال محطات محورية يتبلور معها أفق توقع القارئ.

مصطلح العتبات في اللغة" أسكفه الباب التي توطأ، و الجمع عتب و عتبات و العتب الدّرج وعتب الدرج مراقبها إذا كانت من الخشب.[1]"

وقد جاء في مقايس ابن فارس أنها سميت عتبة "لارتفاعها عن المكان المطمئن السهل."[2]

وانطلاقا من الدلالة اللغوية هذا يعني أن النصوص الموازية أو العتبات لها دور مهم في قراءة المتن هذه القراءة " تسير مشروطة بقراءة هذه النصوص، فكما أننا لا نلج فناء الدار قبل المرور بعتباتها فكذلك لا يمكننا الدخول عالم المتن قبل المرور بعتباته."[3]

عتبة الغلاف:

أول ما يلفت انتباهنا عند حمل الكتاب هو الغلاف، لأنه يعد العتبة الأولى من عتبات النص الهامة، ويحتوي الغلاف على العنوان والصورة وموقع اسم المؤلف، دار النشر ومستوى الخط فالغلاف أحد المنصات الهامة و البارزة والتي له دور في استمالة المتلقي.

وغلاف مؤلفنا هذا المعنون ب" آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي " و من خلال إطلالتنا على عتبة الواجهة نجد أنها جاءت كما يلي:

كتلة العنوان : جاءت بخط متوسط أسود "آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي " وتلاها عنوان صغير بحث في تجليات القراءات السياقية و تلاها أيضاً دراسة وهذا دلالة على مضمون الكتاب و العنوان، حيث نستطيع أن نحدد اتجاه الكتاب من خلال هذه الكتلة العنوانية.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار مصادر، بيروت، ط 3، 1414هـ، ج1، ص 576.

[2]- ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، د ط ، 1979، ص 255.

[3]- عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص، دراسة ي مقدمات النقد العربي القديم، إفريقيا الشرق، ط1 ، 2000، ص 23.

و في نفس الصفحة نجد اسم المؤلف" الدكتور محمد بلوحي " في أعلى " الصفحة بخط عريض أسود.

و لون الصفحة بيضاء أما بخصوص الغلاف الخلفي لم نطلع عليه لعدم حصولنا على النسخة الأصلية للكتاب لعدم توفرها.

عتبة العنوان:

يعد العنوان النافذة التي يطل من خلالها القارئ على النص أو محتوى كتاب ما، فمن خلاله يتسع أفق توقع المتلقي فتكون بذلك أراء قبل تصفحه، فالعنوان أول ما يلفت الانتباه ويجلب القارئ فيعتبر بذلك" أول مراحل القراءة التأويلية هي حوار مع العنوان و معرفة مكنوناته."[1]

"فالعنوان هو علامة لغوية تعلو النص وتغري القارئ بقراءته، فمن دون العنوان تبقى الكتب مكدسة على رفوف المكتبات، فكم من كتاب كان عنوانه سببا في ذيوعه ونشره و شهرة صاحبه، ونظرًا لأهميته فقد شغلت عناوين الكتب في الدراسات الحديثة حيزا كبيرا من اهتمامات النقاد، كما تتجلى أهميته فيما يثيره من تساؤلات لا نلقى لها إجابة إلا مع نهاية الكتاب فهو شهية القارئ للقراءة أكثر."[2]

لهذا يجب على كل كاتب أن يختار عنوانا يتناسب مع مضمون كتابه، فالكاتب محمد بلوحي عنون كتابه ب " آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي بحث في تجليات القراءات السياقية " ، وهذا العنوان مركب من عدة مفردات:

الآلية :هي الواسطة بين الفاعل والمنفعل في وصول أثره إليه كالمنشار للنجار والقيد الأخير لإخراج العلة المتوسطة كالأب بين الجد والابن فإنها واسطة بين فاعلها ومنفعلها ،إلا أنها ليست بواسطة

[1]– محمد سالم محمد أمين، مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر دراسة نظرية تطبيقية سيمونطيقا، دار النشر العربي، بيروت لبنان، د ط ، 2008، ص 136.

[2]– جميل حمداوي، السيمونطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، وزارة الثقافة، الكويت، العدد 3، مج 25، 1997، ص 97.

بينهما في وصول أثر العلة البعيدة إلى المعلول لأن أثر العلة البعيدة لا يصل إلى المعلول فضلاً عن أن يتوسط في ذلك شيء آخر وإنما الواصل إليه أثر العلة المتوسطة لأنه المصادر منها وهي من البعيدة .[1]

الخطاب لغة: إن الخطاب مشتق من مادة (خ-ط-ب) وقع اعتماده من طرف الفكر النقدي العربي الحديث ليحمل دلالة المصطلح العربي discovrs ولإدراك مدلوله في الدراسات العربية القديمة لابد من الرجوع إلى بعض المعاجم العربية وكتب اللغة والفكر والأدب.

ويعرفه ابن منظور "خطب فلان إلى فلان فخطبه وأخطبه أي أجابه والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان البيت ولخطبة مصدر الخطيب وخطب الخاطب على المنبر ،واختطب يخطب خاطبة واسم الكلام خطبة .[2]

الخطاب اصطلاحاً : للخطاب مفهوم واسع ،مشاربه متعددة ومعارفه مختلفة فالحياة بأسرها تتشكل من عناصر الخطاب ،كما يختلف نمطه باختلاف الدواعي والمناسبات وعلو شأنه وأنه يفتح أبواب أبحاث العلم على مصرعيه، بزخرفة أنواعه فمنها المسموع والمكتوب.[3]

النقد : النقد عملية وصفية تبدأ بعد عملية الابداع مباشرة وتستهدف قراءة الأثر الأدبي ومقاربته قصد تبيان مواطن الجودة والرداءة، ويسمى الذي يمارس وظيفة مدارسة الابداع ومحاكمته الناقد لأنه يكشف ما هو صحيح وأصيل ،في النص الأدبي ويميزه عما هو زائف ومصطنع لكن في مرحلة ما بعد البنيوية ومع التصور السيميوطيقي وجمالية التقبل، أستبعد مصطلح الناقد وصار مجرد قارئ يقارب الحقيقة النصية ويعيد إنتاج النص وبناءه من جديد .[4]

العربي: "خلاف العَجَم وهم سكان الأمصار، والعربي بيّن و العربية والعروبية."[5]

---

[1]- ينظر ،الجرجاني ،التعريفات ،دار الكتب العامية ،بيروت ،لبنان ،ط 1 ،1983 ،ص 34

[2]- ينظر ،ابن منظور ،لسان العرب ،دار صادر ، بيروت ،ط3 ، د ت ، مج 3 ، ص 53

[3]- ينظر ،عبد القادر شرشال ،تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص ،منشورات دار الأديب ،د ت ، د ط ، ص 09

[4]- ينظر ،شوقي ضيف ،العصر الجاهلي ، دار المعارف ، ط 8 ، ص 164

[5]- الفيروز أبادي، قاموس المحيط ، مج1، تح، مجدى فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص 129.

الشعر الحديث: ظهر الشعر الحديث في أواخر القرن التاسع عشر حيث قام الأدب الحديث في النثر بريادة الإمام محمّد عبده وفي الشعر بريادة محمود سامي البارودي زعيم المجددين إذ كان أوّل شاعر من ثمار العصر الحديث .[1]

مقاربة :هي عبارة عن تصور مسبق وبناء مشروع عمل قابل للإنجاز في ضوء خطة أو استراتيجية تعتمد كل العوامل المتداخلة في تحقيق الأداء الفعال ، والمردود المناسب من طرائق ووسائل وخصائص المتعلم وزمانه وبيئته ،والنظريات البيداغوجية ،والمقاربة وفقاً لهذا الشكل تعني الخطة الموجهة لنشاط ما. [2]

الشعر في اللغة: العلم

اصطلاحاً: كلام مقفى موزون على سبيل القصد.[3]

الجاهلي: إن دلالة (الجهل) المتبادرة إلى الذهن من أول وهلة نقرأ فيها كلمة الجاهلي لم تكن هي المقصودة من المصطلح ،الذي يعني النسبة إلى الجاهل ،وهو اسم فاعل مشتق في الأصل من الجهل ،الذي هو ضد العلم والمعرفة ،وذلك لأن العرب لم يكونوا بهذه الصفة على إطلاقها بل على العكس من ذلك ،كانت لهم معارفهم وثقافتهم المنبثقة من بيئتهم ،الملائمة لزمانهم والتي على رأسها هذا التراث اللغوي والشعر المتفرد ، أذ يمثل مفخرة العرب والعربية على مدى تتالي الأجيال والقرون.[4]

أما العنوان الفرعي لهذا الكتاب هو: بحث في تجليات القراءات السياقية ، ويقصد به الكاتب مظاهر المناهج السياقية في دراسة للنصوص.

---

[1]- ينظر ، محمود عبد المنعم خفاجي، حركات التجديد في الشعر الحديث، دار الوفاء الاسكندرية، ط1، 2002، ص 06

[2]- ينظر ،ابن منظور ،لسان العرب ،662

[3]- ينظر ،أحمد حسن الزيات ،تاريخ الأدب العربي ،دار نهضة مصر ،القاهرة ، مصر ، د ط ، د ت ،ص 28

[4]- ينظر ،أنور حميدو فشوان ، دراسات في عصور الأدب العربي ، خوارزم العلمية للنشر والتوزيع ،جدة ط1 ، 2006 ص150

عتبة الاهداء :

ثم تأتي عتبة الإهداء والذي هو تقدير وعرفان يحمله الكاتب للآخرين، فالدكتور محمد بلوحي يوجه إهداءه إلى كل روح عربية.

عتبة المقدمة:

وبعد الإهداء مباشرة تأتي المقدمة فمما لا شك فيه أن المقدمة تعد البوابة الأساسية للولوج إلى عالم الكتاب فهي التي تحفز القارئ على الاطلاع على هذا الكتاب، ومعرفة مكنوناته وجاءت المقدمة في قاموس المحيط" أن المقدمة كل شيء أوله."[1]

فمن خلال قراءتنا لمقدمة محمد بلوحي " آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ، نستخلص جملة من الأسباب و الدواعي التي دعت الكاتب لتأليف كتابه هذا نذكر منها: السعي في إتمام التنظير بالتطبيق ، التطرق إلى أهم القضايا التراثية ، و يركز هذا البحث على تتبع التصورات الجوهرية لقراءة القراءة و يسعى أيضاً للاشتغال على معرفة المعرفة كما يسعى لمعرفة دقيقة بقضايا التراث العربي و خاصة الشعر الجاهلي ، أما المنهج المتبع في كتابه هو المنهج التاريخي و الذي اتضح لنا من خلال عنوان الكتاب.

عتبة الفهرس:

الفهرس بالكسر : طبقا لما جاء في قاموس المحيط.

الفهرس لغة: هو ملحق يوضع في أول الكتاب أو في آخره يذكر فيه ما يشتمل عليه الكتاب من موضوعات و الأعلام، و الفصول، و الأبواب مرتبة بنظام معين.[2]

فمن خلال الفهرس يمكننا التعرف على تصنيف الموضوعات و قد جاء فهرس "محمد بلوحي" على النحو التالي:

مقدمة :

[1]- الفيروز أبادي، قاموس المحيط ، مج4، ص 182.

[2]- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2003 ، 704.

الفصل الأول: القراءة التاريخية

الفصل الثاني: القراءة النفسية

الفصل الثالث: القراءة الأسطورية

وهو تقسيم يتناسب مع عنوان الكتاب و الاشكالية الأساسية التي طرحها الكاتب في مقدمته.

المادة المعرفية المعتمدة عليها في الكتاب:

لقد اعتمد محمد بلوحي في كتابه "آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي"، على جملة من الكتب منها:

-ابن سلام الجمحي ،طبقات فحول الشعراء ، تح محمود محمد شاكر ، مطبعة مدني ، المؤسسة السعودية ،مصر

-ابن قتيبة ، أبي محمد عبد الله بن مسلم ، الشعر والشعراء ،تح محمد نجم وإحسان عباس ،دار الثقافة لبنان

ومن الكتب الحديثة نجد :

-محمد النويهي، ثقافة الناقد الأدبي، مكتبة الخانجي، لبنان ،ط 3

-مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ،دار الكتاب العربي ،لبنان

-نصرت عبد الرحمن ،في النقد الحديث دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية ،مكتبة الأقصى ،الأردن

-يوسف اليوسف ،مقالات في الشعر الجاهلي ،منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،دمشق

-يوسف خليف ،دراسات في الشعر الجاهلي ،مكتبة غريب ،مصر

الفصل الأول:

تلخيص محتويات الكتاب

1/ القراءة التاريخية مدخل نظري :

يورد الكاتب محمد بلوحي فصله هذا بالقراءة التاريخية في الخطاب النقدي الأدبي هي قراءات قديمة واكبت ظواهر أدبية، وهي تسعى إلى تفسير نشأة الأثر الأدبي من خلال ربطه بزمانه و مكانه و شخصياته و يرى أن تاريخ الأدب مرحلة أولى من مراحل تجسيد القراءات التاريخية في الخطاب النقدي الحديث عدتها المادة التي تنحصر في الرواية و الأخبار فالتاريخ هو الوسيلة الذي يعبر في جوهره عن الذاكرة الإنسانية بمختلف نشاطاتها المادية و الفكرية و هذا ما عبر عنه "ابن خلدون" بحقيقة التاريخ وتحولت هذه الصلة في العصر الحديث وذلك بفضل "سانت باف" و"تين" و"فيلمار" وغيرهم متأثرين بالتاريخ الطبيعي الذي تمخض عنهم فلسفة العلوم الطبيعية وعلوم الأحياء [1]

ويشير كاتبنا إلى أن القراءة التاريخية ركزت على استحضار حياة المؤلف من حيث العوامل الجغرافية والدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ورصد الاقوال التي قيلت في عمل ما وتستند هذه القراءة إلى الملاحظة والاستدلال والحس والتجربة بحيث يوحي إلى الباحث بأنها تأثرت بالفلسفة الوضعية التي أقامها " أوغيست كنت" حيث أن المعرفة المثمرة في الفكر الإنساني هي معرفة الحقائق وحدها وهذه الحقائق لا يمكن إدراك منها سوى العلاقات ثم القوانين كما نبهت هذه القراءة التاريخية إلى أهمية ما هو خارج النص إلا أنها أسرفت في المطابقة بين الأدب والبيئة فأفسدت بعض الحقائق الإبداعات الأدبية الأصيلة .[2]

كما حاولت القراءة التاريخية أن تتخلص من المفاهيم الميتافيزيقية التي سيطرت على التاريخ و ذلك بالفكر الوضعي الذي أعاد النظر في هذه التصورات ، إن فلسفة التاريخ التي تعمل لإيجاد

[1]- ينظر ، محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي بحث في تجليات القراءات السياقية من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، د ط ،دمشق 2004 ، ص 15

[2]- ينظر المرجع نفسه ، ص 15 ، 16

العوامل المؤثرة في سير الوقائع التاريخية و القوانين العامة ، هي نفسها الأسس التي تعتمد عليها القراءة التاريخية في التعامل مع الظواهر الأدبية ،كما تتخذ من حوادث التاريخ السياسي و الاجتماعي و سيلة لتفسير الأدب ، لدراسة الخصائص الفنية في كل مرحلة من مراحل المنهج التاريخي من أجل التحقق من صحة الروايات والأخبار المحاطة بالشك والانتحال التي تعتمد في بناءها على الرواية الشفهية، ومن هنا يتساءل الكاتب ماذا عن فعاليات القراءة التاريخية وممارستها في النقد العربي؟[1]

ويرى محمد بلوحي أن الدراسات التاريخية من أقدم الدراسات في النقد العربي القديم تعتمد في أسسها على التصورات التاريخية ، خاصة ملاحظة النقاد من تشابه مشترك من السمات والخصائص في أشعار بعض الشعراء الجاهليين "امرئ القيس" "النابغة الذبياني" و"زهير بن سلمى" و"الأعشى" و"الجاحظ" وغيرهم يجمعون بين التدوين والتاريخ وكل القضايا التي تمت بصلة قوية إلى القراءة التاريخية، وقلما كتب التراجم والنقد القديم خالية من الملمح التاريخي، وصار من الصعب التمييز بين القراءتين على الدارس، مثل كتاب الأغاني لأبو "الفرج الأصفهاني" وغيره من المترجمين[2]

ويواصل كاتبنا أن في العصر الحديث اعتمد في الدراسات الأدبية على المنهج التاريخي، ونجد عند "حسين توفيق العدل "في كتابه "تاريخ الأدب" الذي اعتمد على التقسيم التاريخي وبهذا أسس قراءة جديدة للدراسة الأدبية بالإضافة إلى نقاد آخرون تبنوا المنهجية نفسها أمثال "الأسكندري" و "أحمد حسن الزيات" و غيرهم و هناك من حاول تطوير آليات هذه القراءة و جعلها كافية للتعامل مع أمهات القضايا النقدية في تلك الحقبة ،من بينهم "جورجي زيدان" "طه حسين " و "أحمد أمين " و غيرهم من مؤرخي الأدب في العصر الحديث [3]

[1]- ينظر ، محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ، ص 17

[2]- ينظر المرجع نفسه ، ص 17

[3]- ينظر المرجع نفسه ، ص 18

ويقول الكاتب أن القراءة التاريخية تعاملت مع النص الأدبي على أنه وثيقة تاريخية واهتمت اهتمام بالغ بتاريخية الظواهر الإبداعية، و تمرده على التفكير الوضعي ، الذي تجلى تأثيرها على النقد العربي الحديث " تين " و " سانت بيف " و غيرهم و هذا لا يعني أن النقاد التاريخيين العرب كانت لهم تصورات علمية لفلسفة التاريخ بحيث لم يرتبطوا بمفاهيم صارمة ، لتاريخ الأدب المرتكزة على الأسس المعرفية للبحث العلمي الخالص، و كان طه حسين حريص على إبراز دور الذوق لأن المؤرخ للأدب يعتمد عليه في دراسة ظاهرة من الظواهر .[1]

ويقول طه حسين " لأن تاريخ الأدب لا يستطيع أن يعتمد على مناهج البحث العلمي الخالص وحده، و إنما هو مضطر معها إلى الذوق ، هو مضطر معها إلى هذه الملكات الشخصية الفردية التي يجتهد العالم في أن يحلل منها "[2] و هذا يدل على قصور اجراءات القراءة التاريخية في مقاربة النص الأدبي .

و يواصل قوله طه حسين " فتاريخ الأدب إذن أدب في نفسه من جهة لأنه يتأثر بما يتأثر به مأثور الكلام من الذوق و هذه المؤثرات الفنية المختلفة ...و الأدب الخالص فيه موضوعية العلم ، و فيه ذاتية الأدب "[3] بالرغم من "أن طه حسين " يؤكد على الذوق إلا أنه اهتم بالظواهر الابداعية من حيث هي ظواهر تاريخية خالصة .

يشير محمد بلوحي أن للقراءة التاريخية أهمية علمية في توثيق الظواهر الابداعية من حيث النشأة و المواصفات و الأخبار ، و ما تم إضافته من إبداع الخيال الرواة لها ، أكثر من أن تكون حقائق تاريخية ، كما وفر المجال العلمي للقراءات اللاحقة ، خاصة القراءة النفسية و الاجتماعية و تطبيق مقولاتها على هذا التراث ، إلا أن التعامل مع الظواهر الابداعية خاصة التراث كالشعر

[1]- ينظر ، محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ، ص 19

[2]- ينظر ، طه حسين ، الشعر الجاهلي ، دار المعرف للطباعة و النشر ، د ط ، سوسة تونس 1997 ، ص 134 ، نقلا عن ممد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ، ص 19

[3]-ينظر، المرجع نفسه ،ص 19

الجاهلي و علم النفس و الاجتماع خصوصا أدى إلى تجاوز القراءة التاريخية إلى مناهج سياقية أخرى و جدت فيها ميدانا رحباً في مجال التفسير .[1]

و يواصل كاتبنا أن الشعر الجاهلي من الموضوعات التراثية التي وجدت فيها القراءة التاريخية الميدان الخصب لتطبيق أدواتها الاجرائية ، من حيث البيئة التاريخية و الاجتماعية و السياسية و الثقافية التي نشأ فيها بوصفه منبع الثقافة العربية عبر عصورها و بشتى اتجاهاتها ، كما يتميز الشعر الجاهلي بهذه الخصوصية جعلت منه حقلاً رحبا في كثير من المقاربات السياقية أو النسقية التي رسمت معالمه الوثائقية . [2]

و من القضايا التي ناقشتها القراءة التاريخية الحديثة قضية أولية الشعر الجاهلي و مصادر الشعر الجاهلي و التحليل الفيلولوجي للشعر الجاهلي التي ستفصل في معالجة الأطروحات التي تبنتها لدراسة هذه القضايا الثلاث ، مركزة على عينات التي تناولت هذه القضايا منها " مصطفى صادق الرافعي ، جورجي زيدان ، ناصر الدين الأسد ، إحسان سركيس " وغيرهم و قد وقع الكثير منهم في التكرار و الترديد لنفس المادة التاريخية ، و هذا ما جعلها تنتهج آلية الوصف مع التحليل و المقاربة للوقوف على خصوصية بعض النتائج متوصل إليها .[3]

2/ جذور الشعر الجاهلي "جينالوجيا"

ويرى محمد بلوحي أن ظهور الفن عامة و الشعر خاصة عند الإنسان هي قضية موغلة في القدم و ذلك بسبب قلة الأدلة المادية ، فالباحث إذا أراد أن يقارب تراثاً شعريا كالتراث الجاهلي و اعتُمد في الحفاظ عليه الرواية الشفوية التي تنازعها الأهواء والعصابات لذلك اختلف القدماء من الرواة و المدونين في أولوية الشعر الجاهلي و ألقت هذه القضية بثقلها على القراءات الحديثة فوجدت فيها كثيرا من الأقلام ميدانا يجب التمحيص فيه

[1] ينظر ، محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ، ص 19 ، 20

[2] ينظر المرجع نفسه ، ص 20

[3] ينظر المرجع نفسه ، ص21

والتدقيق ، بالرجوع للمصنفات التراثية و الكتب المقدسة لعلها تجد نصوصاً تقوي بها حجتها و مذهبها .[1]

و يرى أيضاً أن اختلاف القدماء في هذه المسألة بالأساس راجع إلى الزحم الذي واكب عملية التدوين في العصر العباسي ، و كان يهدف دارسوا الشعر الجاهلي إلى تدوين أكبر ممكن من الأخبار قبل اندثارها و ثم تمحيصها و التدقيق فيها و قد فصلوا في مسألة أولية الشعر الجاهلي فذهبوا إلى أن عمره يمتد بين القرن و القرنين قبل ظهور الإسلام على أكثر تقدير ، إذ يقرر الجاحظ على أن عمر الشعر العربي قصير بالمقارنة مع عمر الإنسانية ، [2]و في ذلك يقول " الشعر حديث الميلاد صغير السن أول من نهج سبيله ، و سهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر و مهلهل بن ربيعة ... فإذا استظهرنا الشعر ، وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام – و إذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام " [3]

و يورد كاتبنا قول آخر لابن سلام الجمحي فيما يرويه عن عمر بن شبة أن " للشعر و الشعراء "أول يوقف عليه و قد اختلف في ذلك العلماء وادعت القبائل كل قبيلة لشاعرها أنه الأول ... فادعت اليمانية لامرئ القيس و بنو أسد لعبيد بن الأبرص ، و تغلب لمهلهل و بكر لعمر بن قميتة و المرقش الأكبر ، و إياد لأبي دؤاد ... و زعم بعضهم أن الأفوه الأودي من أقدم هؤلاء ، و أنه أول من قصد القصيد ، قال : و هؤلاء النفر المدعى لهم التقدم في الشعر متقاربون لعل أقدمهم لا يسبق الهجرة بمائة سنة أو نحوها ".[4]

---

[1]–ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص 21–22

[2]–ينظر، المرجع نفسه ،ص 22

[3]–الجاحظ، أبو عمر بن عثمان ، الحيوان ،تح عبد السلام هارون ، دار الجبل ، لبنان ، 1996 ،ص 74،نقلا عن ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص

[4]–ابن سلام الجمحي طبقات فحول الشعراء ، تح محمود محمد شاكر ،مطبع المدني المؤسسة السعودية ،مصر ،ص 11 ،نقلا عن محمد بلوحي ،آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص 22

و يشير إلى أن التضارب حول إشكالية أولوية الشعر العربي ، هي التي فتحت المجال أمام الكثير من المستشرقين في الجزم في هذه الإشكالية فالشك هو المقياس الأساسي الذي تبناه المستشرقون منذ التعامل مع هذه الإشكالية و التي اعتمدت جل أطروحاتها على الرواية الشفوية التي ترقى إلى مقام الدليل الموثوق ، كما أن كثيراً من المستشرقين و خاصة مارجليوث الذي حاول إثبات البداية الحقيقية للشعر العربي فأرجعه إلى ما قبل الإسلام[1] ، و يقول " و الكمية الهائلة من النقوش التي ترجع إلى ما قبل الإسلام و التي نملكها الآن مكتوبة بعدة لهجات ليس فيها شيء من شعر " [2]

يرى كاتبنا أن البهبيتي يربط قدسية الشعر عند العرب بالاعتقاد و التي كانت تعتقد أن الشاعر يقوم مقام النبي ، لأن الشعر العربي منبعه إسماعيل عليه السلام و يورد ما أورده ابن رشيق في العمدة " حكى أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين النيسابوري أن كعب الأحبار قال له عمر بن الخطاب و قد ذكر الشعر : يا كعب هل تجد للشعراء ذكراً في التوراة ؟ فقال كعب : أجد في التوراة قوماً من ولد إسماعيل ، أناجيلهم في صدورهم ينطقون بالحكمة و يضربون الأمثال لا نعلمهم إلا العرب "[3]

و انطلاقاً من هذا النص يؤكد البهبيتي أن الشعر العربي الأول نشأ في حضن المعبد و كان نبعه إسماعيل ، و هذا سر ارتفاع الشعر في معيار القيمة حتى يمس القدسية باعتباره فتحاً من فتوح إسماعيل و هو سر ارتقاء الشعراء إلى منزلة تضعهم العرب موضع الأنبياء ، و هي نتيجة تبرر علو منزلة الشعر و الشعراء عند العرب في الجاهلية ، لكن هذا الرأي فيه جانب من الصحة بأن الشعر

[1]-ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص 23

[2]-ديفيد صمويل مرجليوث ، نشأة الشعر العربي ، ضمن كتاب دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي ،تج عبد الرحمن بدوي ،دار العلم للملايين ،لبنان ، ط1 ،ص 93 ،نقلا عن ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص23-24

[3]-البهبيتي ،الشعر العربي في محيطه العربي القديم ،دار الثقافة ، المغرب ، ط1 ،1987 ،ص 75 ،نقلا عن ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص25-26

نشأ عموماً عند العرب نشأة دينية و لكن لا يرقى إلى درجة اليقين و خاصة أنه لا يوجد أدلة موثوقة و مازالت ميداناً خصباً للبحث و التنقيب .[1]

و يأخذ بروكلمان بمنهج تطبيق الملابسات المشابهة التي و جدت عند الأمم البدائية الأخرى لاستخلاص فرضية حول أولوية الشعر عند العرب الذي يشير إلى صعوبة الفصل في هذه المسألة لانعدام الرواية المأثورة التي تقدم الخبر الصحيح ، و أن أي قول يذهب إليه أي باحث هو قول احتمالي لا يقيني إلا أن كثيراً من القراءات العربية الحديثة خاضت في هذه المسألة محاولة في بعض الأحيان القول فيها بلغة الجزم و في بعض الأحيان الأخرى بلغة الاحتمال .[2]

و يشير محمد بلوحي إلى أن الاختلاف في الطرح حول أولوية الشعر الجاهلي هو السمة الرئيسية التي تميزت بها جل الدراسات التي تعرضت لهذا الموضوع ، إلا أن إشكالية أولوية الشعر الجاهلي هي مسألة شائكة لا يمكن الفصل فيها بقول ، و تبقى هذه المسألة خاضعة للتخمينات و الفرضيات التي تستند إلى سند العلمي القائم لأنها إشكالية موغلة في القدم و فرضياتها مبنية على الاحتمال ، على الرغم من القراءة التاريخية حاولت بكل ما أوتيت أن تبحث في الإشكالية. [3]

3 / مصادر الشعر الجاهلي

يرى الكاتب أن العرب في العصر الجاهلي ، اعتمدوا على المشافهة لما لها من أثر بالغ في جعل الرواية و الرواة العصب الأساسي الذي ارتكزت عليه القراءات الحديثة في الكثير من الاشكاليات التي أثيرت حول الشعر الجاهلي خاصة هذه الأخيرة وجدت نفسها تبحث في هذا الشعر و الذي لم يلتفت إلى تدوينه إلا في العصر الأموي ، مع انتقال العرب من طور الثقافة الشفهية إلى طور التدوين و الكتابة ، كآلية لحفظ أصول الدين و اللغة العربية بما فيها الشعر

[1]-ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص 26

[2]-ينظر، المرجع نفسه ،ص 27

[3]-ينظر، المرجع نفسه ،ص 33-36

الجاهلي بوصفه أحد الأصول الأساسية لهذه اللغة مما لزم على الرواة أن يبادروا إلى تدوينه لحفظه من تلاعب عوامل الدهر ، لأنه يمثل ميراث الأجداد و الحضارة . [1]

كما أن هناك الكثير من المقاربات أنيرت للبحث عن مصادر الشعر الجاهلي هادفة في تجلية الحقيقة حول هذا الشعر، و من بينها دراسة "ناصر الدين الأسد "في" مصادر الشعر الجاهلي و قيمتها التاريخية "فخاض فيها الدروب الوعرة في قضايا تدوين هذا الشعر ، و فق منهج استقصائي واضح المعالم معتمداً في ذلك على جهاز معرفي دقيق عمل من أجل اثبات كل ما يستند إليه سند علمي واضح في مسألة الشعر الجاهلي .[2]

كما تطرق الكاتب إلى أن السماع أساس الرواية عند العرب قبل التدوين و ذلك ما بحثت فيه القراءة العربية الحديثة ، واعتبرت الرواية متصلة من الجاهلية حتى القرن الثاني للهجري و استمرت طوال القرن الأول ، حتى تسلمها العلماء الرواة من رجال القرن الثاني فلم تكن ثمة فجوة تفصل هؤلاء الرواة العلماء عن العصر الجاهلي ، و إنما تلقوه عمن تقدمهم و ورثوه عمن سبقهم رواية متصلة و سلسلة محكمة يأخذها الخلف عن السلف ، و يرويها جيل بعد جيل و لم يشغلهم من انشاء الشعر و روايته و ذكر أخبار العرب و أيامهم و مفاخرهم في مجالسهم و محافلهم شاغل من حرب أو فتنة ، حتى أن المسلمين الأولين و المشركين من كفار قريش لا ينقطعون عن انشاد الشعر الجاهلي و روايته و التمثل به و تعلمه و حفظه .[3]

يشير الكاتب أن القراءة العربية الحديثة صنفت الرواة لطبقتين طبقة الرواة الهواة و طبقة الرواة المحترفين ، أما الرواة الهواة فكانوا يتميزون أنهم يعتمدون في الغالب على الرواية الشفهية ، و لا يعتمدون على الكتابة إلا نادراً مما جعل روايتهم لا ترقى إلى رواية الجيل الذي جاء بعدهم ، الذي امتاز بالاحترافية في الرواية باعتماده على الكتابة و التدوين ، كما هؤلاء الرواة الهواة لم يلتزم

[1]-ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص 36-37

[2]-ينظر، المرجع نفسه ،ص 38

[3]-ينظر، المرجع نفسه ،ص40

بالرواية لشاعر واحد ، بل كانوا يسمعون لأكثر من شاعر و يحفظون لهم جميعاً و هذا ما جعل روايتهم لا ترقى في نظر القراءة الحديثة إلى درجة الرواية المحترفة التي يمكن أن تجعل منها مصدراً أساسياً في تدوين الشعر الجاهلي بالرغم من أنها حلقة أساسية في رواية هذا الشعر و لا يمكن اهمالها .[1]

أما الطبقة الثانية و التي تتشكل من أمثال المفضل الضبي و الأصمعي و أبي عمرو الشيباني نظرت إليها القراءة العربية الحديثة ، من حيث أعلامها مثل الأمانة العلمية و التوثيق الرصين و الاحتراف المتمكن ، فكان لها الدور الرائد في تقويم ما اعوج في مسار رواية الشعر الجاهلي بالإضافة إلى أنها اعتمدت في تدوينها على وضع المصنفات التي مازالت إلى يومنا هذا و بهذا نقلت رواية الشعر العربي من المرحلة الشفهية البدوية إلى مرحلة الرواية الكتابية ذات البعد الحضاري المتمدن .[2]

و يرى الكاتب أن القراءة الحديثة واصلت بحثها في مصادر الشعر الجاهلي ، إلى إثبات أن هذه المصادر لم تعتمد فقط على المفضليات و الأصمعيات ، بل برزت مصادر أخرى لا تقل أهمية من حيث القيمة العلمية من المصدرين السابقين ، و لم تهمل هذه القراءة البحث عن المصادر التراثية الكثيرة التي تضمنت في طياتها أشعار الجاهلية كالمصنفات النحوية مثل الكتاب "لسبويه " و مصنفات التاريخ و السير كسيرة ابن اسحاق ، و المصادر الجامعة كالبيان و التبيين و الحيوان للجاحظ لما للشعر الجاهلي الوارد فيها من قيمة تاريخية و أهمية علمية في تحقيق مصادر الشعر الجاهلي لذلك عملت القراءة التاريخية من أجل التعمق في مسائلها و الإحاطة بإشكالياتها.[3]

[1]- ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص 40

[2]-ينظر، المرجع نفسه ،ص41

[3]-ينظر، المرجع نفسه ،ص44-45

التحليل الفيلولوجي للشعر الجاهلي :

يرى الكاتب أن الفيلولوجية تسعى إلى تأسيس علم يبحث في التحقيق من صحة الموروث العلمي و الثقافي للأمم و تمييز الصحيح من المنسوب ، خاصة و أن التراث العربي القديم و صل إلينا عن طريق الرواية الشفهية ، لذا فإن نصوصه تحتاج إلى تحقيق لأن بعض هذه النصوص شكك الدارسون في تاريخها و صحتها و من الظواهر الأدبية و النقدية التي أثرت على الرواية الشفهية للتراث الأدبي هي ظاهرة النحل و الانتحال و لم تقتصر على الشعر فقط بل تعدته إلى كل ما يمس الأدب العام و لم يكن أمر الوضع و النحل في التراث العربي القديم ليخفى على الرواة العلماء خاصة ما تعلق بأخبار الجاهلية و أشعارها إذ هناك من الرواة و النقاد القدامى قد تفطنوا إلى خطر هذه الظاهرة فنبهوا إليها و منهم " ابن سلام الجمحي " في كتابه طبقات فحول الشعراء [1]

و يشير أيضاً إلى أن الجاحظ أشار إلى الموضوع و المنحول على ثلاث طرائق فهو مرة ينسب الشعر إلى الشاعر بعينه ، ثم يعقب عليه بما يفيد شكه فيه و مرة ثانية يقطع قطعاً جازماً بأن هذا الشعر أو ذاك منحول موضوع و كل ذلك دون دليل أو حجة و، إنما يرسل القول إرسالاً و مرة ثالثة يقطع الشعر المنحول ثم يورد من الحجج ما يراه كفيلاً بدعم رأيه ، فالجاحظ بوصفه عالماً من أعلام النقد العربي القديم لم يهمل هذه الظاهرة و نبه إليها و بين طرقها و أساليب تسربها إلى التراث القديم .[2]

يرى محمد بلوحي أن مرجليوث من أبرز المستشرقين الذين أثاروا قضية توثيق الشعر الجاهلي و القول بالوضع في كثير من نصوصه و أخباره ، في القراءة الحديثة و اتخذ مارجليوث من حماد و خلف الأحمر دليلاً للقول بفساد رواية الشعر الجاهلي ، و يشير أن الشعر الجاهلي يمثل لغة واحدة و هي لغة قريش و لا يمثل لهجات القبائل المتعددة في الجاهلية إذ يحاول التشكيك في

[1]-ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص46

[2]-ينظر، المرجع نفسه ،ص47-49

الشعر الجاهلي من داخل النص الجاهلي معتمداً في ذلك على بعض الألفاظ و التراكيب التي وردت و التي تحمل صيغ اسلامية مثل القسم الدائم بالله و هو شائع في دواوين الجاهليين ، و لا يعد مرجليوث أول المستشرقين الذين أعادوا قضية الشك في الشعر الجاهلي إلى واجهة البحوث العلمية في القراءة التاريخية الحديثة .[1]

ويرى محمد بلوحي أن الدوافع التي أدت بطه حسين إلى الشك في الشعر الجاهلي هي أن الشعر لا يمثل الحياة الدينية و العقلية و اللغوية للعرب في الجاهلية ،كما أن الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة العقلية لأنه وجد في العامل الديني ما صاحبه من جدال ، و أنه لا يمثل الحياة السياسية للعرب و علاقاتهم مع الأمم الأخرى كالفرس و الروم ، بل صورت لنا الروايات و الأخبار التاريخية أن هؤلاء العرب كانوا أمة منعزلة قبل الإسلام ويشير طه حسين أن من دوافع شكه في الشعر الجاهلي نابع من اختلاف اللهجات بين الجزيرة العربية و بين قبائلها ، ليؤكد أن الشعر الجاهلي منحول و هناك أسباب مباشرة فجددها في العامل السياسي و الديني و القصصي و الشعوبي.[2]

تعد الروايات الأدبية مصدر التراث العربي القديم إلا أن طه حسين شكك في مصادر التراث بعامة ، و يعتمد منهج طه حسين في دارسة الشعر الجاهلي على منهج ديكارت المبني على قاعدة الشك في الظواهر من أجل تحقيقها [3]، فيقول طه حسين "في هذا النحو من البحث مسلك المحدثين من أصحاب العلم و الفلسفة ، أريد أن أصطنع في الأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه "ديكارت " للبحث حقائق الأشياء في أول هذا العصر الحديث "[4]

يشير الكاتب أن مقاربة ناصر الدين الأسد من بين أهم الاسهامات العلمية التي أنجزت للدفاع عن قيمة الشعر الجاهلي فامتازت بالطرح العلمي المتميز فنقض الكثير من أطروحات طه

[1]-ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص50-54

[2]-ينظر، المرجع نفسه ،ص 55-57

[3]-ينظر، المرجع نفسه ،ص58

[4]-طه ،حسين ،في الأدب الجاهلي ،دار المعارف مصر ،ط13 ،نقلاً عن ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص 59

حسين حول الشك في الشعر الجاهلي بمنهج واضح بعيد عن التعصب و الاندفاع فاستهل الموضوع بعرض مفصل للمكونات الأساسية للمجتمع العربي في الجاهلية و أفاض في مسألة الرواية و طبقات الرواة و الاسناد في الرواية الأدبية و كيفية توثيق الرواة و تضعيفهم

القراءة نفسية " مدخل نظري":

يرى كاتبنا أن علم النفس من بين العلوم الانسانية التي كان لها أثر بالغ في دفع الحركة النقدية الحديثة ، و إجراءاتها مكنتها من قراءة النص برؤية جديدة ، و تعتمد على المعايير العلمية في التعامل مع الظواهر الأدبية كما عرف النقد القائم على التحليل النفسي منذ القدم و يعد أرسطو أباً شرعيا لهذه القراءة النفسية إلا أن أراء أرسطو لم تصبح اتجاها نقديا إلا بعد ظهور نتائج الدراسات النفسية الحديثة و ربطت بين اللغة و اللاشعور و أيضا بعد أن ألف فرويد كتابه "تفسير الأحلام "1900 و أفاض أتباع يونغ في الحديث عن الأسطورة و الرمز .[1]

و يرى أيضا أن مدرسة التحليل النفسي الريادة في تحليل الأثار المبدعة و صولاً إلى نفسية المبدع و اتخذت أثر المبدع من حقول التحليل النفسي الوصفة الرمزية أنتجتها الدواعي النشاط اللاشعوري من أجل الوصول إلى نظريات علمية كما أن علم النفس و الأدب يتناولان موضوعات واحدة مثل الأفكار الخيال مما يؤكد العلاقة بين الإبداع و علم النفس ،كما أن فرويد انطلق من مسلمات المنهج النفسي في تفسير الابداع الفني معتمدا على عقدة أديب ، ويشير إلى الخيال بأنه من مصادر الفن و عن طريقه تلبى الرغبات اللاشعورية في قالب أسطوري فالشاعر يتمتع بالخيال يستطيع أن يجسدها.[2]

يشير الكاتب أن القراءة النفسية في النقد العربي كانت جذورها الأولى قد برزت منذ العصر العباسي ، خاصة عند ابن قتيبة في مقدمته " للشعر و الشعراء " و غيره كما اتضحت ملامح النقد النفسي بشكل جلي عند " عبد القاهر الجرجاني " في كتابه "أسرار البلاغة" و

[1]-ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص 74-75

[2]-ينظر، المرجع نفسه ،ص 76

"دلائل الإعجاز " إلا أن أراء هؤلاء الأعلام كانت مجرد إشارات ضمن أحكام نقدية ذات أبعاد سيكولوجية ،جعلتهم لا يتعمقون في القضايا النقدية ذات الطابع السيكولوجي إلا ظاهراً دون الغوص في أعماقها ، و ما افتقر إليه النقاد العرب القدامى اكتسبه النقاد العرب المعاصرون ،بعد اطلاعهم على المنهج السيكولوجي الغربي و التعمق في أسسه المعرفية .[1]

لم تتوقف القراءة النفسية في النقد العربي الحديث عند دراسة الأعلام ، بل تعرضت للظواهر الشعرية التي كانت حقلاً للدراسات النفسية و التي يمثلها جملة من الشعراء و من الظواهر المقدمة الطللية في القصيدة الجاهلية عامة و المعلقات خاصة ،التي أثارت من خلالها جملة من القضايا السيكولوجية مستفيدا في ذلك علم النفس الحديث فأثارت القراءة النفسية نقاشا واسعاً في الثقافة النقدية العربية و لاسيما النتائج التي تتوصل إليها ،وَ وَصَفها خصوم النقد النفسي بالإسقاطات الغريبة على النص الأدبي و مع مرور الزمن أصبح التفسير النفسي للأدب واسع الانتشار و لاسيما عندما ترسخت أصوله في الدراسات الجامعية ،و اتضحت معالمه من خلال التطبيقات النقدية على جميع الأجناس الأدبية .[2]

و يشير الكاتب أن المنهج السيكولوجي قام النقاد العرب بتطبيقه و يقول في ذلك كمال زكي في كتابه النقد الأدبي الحديث أصوله و اتجاهاته " فإن تأثير التحليل النفسي على الأدب العربي الحديث كبير للغاية – حتى و إن أنكر من شاء له ان ينكر – و استطاع الكتاب الرومنسيون وأصحاب الكلاسيكية الجديدة أن يجدو لدى" فرويد" "ويونغ" "وأدلر" وغيرهم مجالا لاهتماماتهم النقدية" .[3]

[1]-ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص 77

[2]-ينظر، المرجع نفسه ،ص78

[3]-ينظر، المرجع نفسه ،ص79

المقدمة الطللية :

يرى محمد بلوحي أن المقدمة الطللية في القصيدة الجاهلية من المظاهر الفنية التي اقتربت منها القراءة القديمة والحديثة ، وفق منحى وأدوات وإجراءات نفسية ومقولات مستمدة من المعارف الخاصة بحقل علم النفس ، وذلك لأنها تتميز بخصوصية تثبت الشاعر الجاهلي كمبدع والإنسان الجاهلي كمتلقي فالمقدمة الطللية تحمل ذات دلالات وأبعاد نفسية تدخل داخل الاطار النفسي العام فأهلتها لأن تحاول المقاربة النفسية بغية تفكيك العلاقة بينها وبين الإنسان الجاهلي لتظهر النفس الجاهلية المرتبطة بالمكان وبقايا الديار .[1]

ويشير ابن قتيبة وهو يتحدث عن النسيب في القصيدة الجاهلية من أوائل القراءات التي حاولت أن تربط المقدمة الطللية في القصيدة الجاهلية بالجو النفسي سواء كان للشاعر أو المتلقي واعتبر أن الشاعر الجاهلي لجأ للمقدمة الطللية في صدر قصائده لتكون عاملا في ذكر رحيل أهل الديار من مكان لآخر وعمد للنسيب كأسلوب للتعبير، حيث بواسطته يهدف إلى استمالة القلوب ليستدعي بيه اصغاء الأسماع إليه وركز ابن قتيبة على عاملين أساسين عامل اجتماعي وعامل نفسي ، وحاول بفضل رؤيته النقدية الثاقبة أن يؤسس للقراءة النفسية لظاهرة الطلل في الشعر الجاهلي على الرغم من أن المقاربة لم ترتكز على أسس معرفية ذات صلة بأسس ومعارف نفسية متبصرة مبنية على معارف علم النفس ،وكشف عن قدرة الشاعر الجاهلي على التعبير عن جوهر النفس الجاهلية من خلال اللحظة الطللية في بعدها النفسي .[2]

ويرى محمد بلوحي أن قراءة ابن قتيبة هي التي جعلت الكثير من القراءات تنتبه إلى الجوانب النفسية في المقدمة الطللية ، ولكن هذه القراءة ترى تقصيرا في قراءة ابن قتيبة من خلال الإحاطة بالظاهرة من جوانبها ،[3]مما جعل يوسف اليوسف يذهب إلى القول بأن تفسير ابن قتيبة

[1]-ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص 81

[2]-ينظر، المرجع نفسه ،ص82

[3]-ينظر، المرجع نفسه ،ص 82

"يركز الطللية على ركيزتين إحداهما اجتماعية والاخرى نفسية ولكن هاتين الركيزتين لا تضرب جذورهما اعماق تربة او ارضية صلبة أي أنهما يتضمنان تفسيرا ينظر الى الطللية من السطح إن رحيل اهل الدار لا يمكن أن يكون إلا ظاهرة لجوهر ينبغي الكشف عنه ".[1]

ويرى كاتبنا أن اعتماد ابن قتيبة على أسس علم النفس الحديث في تفسير الطللية هو الذي دفع بيوسف اليوسف إلى نعت رأي ابن قتيبة بالهشاشة ،التي لا تصمد أمام النقد ولكن بالمقارنة مع زمن ابن قتيبة فإن تفسير هذا الأخير يحمل الكثير من الجدة والإبداع ،وتعد سهير القلماوي أيضا من الأقلام النقدية التي كان لها فضل السبق في الإشارة الى النواة الأولى للقراءة التي ترى أن الطللية الجاهلية تعبر عن خاصية نفسية وجودية في مقال سمته "تراثنا القديم في أضواء حديثة " التي رأت أن الطللية ليست مجرد البكاء على الحبيب ،و التعبير عن لحظة سعادة انقضت وإنما صرخة متمردة ويائسة أمام حقيقة الموت والفناء ،لأن الشاعر الجاهلي لم يكن يؤمن بالجنة ولا بالثواب ولقد أحس حقيقة الفناء وحتمية الموت إحساسا يختلف عن أحاسيسنا اليوم هذه إشارة على الرغم من بساطتها إلا أنها تبرهن أن سهير القلماوي قد سبقت المستشرق الألماني فالتر براونه في الخوض في مقاربة الطللية الجاهلية وفق رؤية وجودية .[2]

وتعد قراءة المستشرق الالماني فالتر براونه التي نشرها في مجلة المعرفة السورية سنة 1963 والتي سماها ب"الوجودية في الشعر الجاهلي "من القراءات الحديثة ،التي يبني مقاربته الطللية على رؤية ذات منحى وجودي نفسي تتعدى المحدودية الزمنية والمكانية ،ويحاول أن يؤكد طرحه هذا من داخل النص الطللي معتبرا معلقة عبد ابن الأبرص في طرحها الجوهري طرح وجودي [3]

[1]-يوسف اليوسف ، مقالات في الشعر الجاهلي ، الارشاد القومي ،دمشق ، دط ،1975، ص123،نقلا عن ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص83

[2]-ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص 84

[3]-ينظر، المرجع نفسه ،ص84

فعبيد يقول :[1]

أَقفَرَ من أَهله مَلحوبُ فَالقُطبياتُ فَالذُّنُوبُ

وَبَدَلت منهُم وُحُوشاً وَغَيَّرت حَالَهَا الخُطُوبُ

أَرضُ تَوارَثهَا الجُدُوبُ فَكُلُ من حَلَّهَا مَحرُوبُ

فتساؤلات فالتر براونه في نظر كاتبنا هي تساؤلات حاول من خلالها أن يطرح أن فكرة الطللية ،هي عبارة عن تعبير راق للحقيقة السرمدية القائمة على ثنائية الحياة /الموت وبالإضافة أيضا إلى القضاء المحتوم على كل إنسان وهذا الشعور معبر عنه في نسيب قصائدهم ،وعلى الرغم من أن الغموض يلف رأي المستشرق الألماني لفاً إلا أن قراءة يوسف اليوسف استطاعت أن تضيف إضافة نوعية إلى مقاربة فالتر براونه ،وذلك من خلال المزاوجة بين الوجودية والمقومات الواقعية ذات الابعاد الحضارية والاجتماعية والطبيعية ،هي التي تؤسس لقراءة حضارية للطللية الجاهلية إلا ان قراءة فالتر براونه قد أهملت الأسس الواقعية التي كانت بمثابة الرحم الأول الذي كونت فيه الطللية في بعدها النفسي والحضاري .[2]

وحسب رأي كاتبنا فإن عز الدين قام بنسخ أفكار المستشرق الألماني فالتر براونه ثم زادها وضوحا ببراهين جديدة ، ونعتها بعض النقاد من أمثال حسين عطوان في مؤلفه مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ويوسف اليوسف في مقالات في الشعر الجاهلي أنها في كثير من نتائجها محاكاة لها محاكاة كبرى ، فغيب عليها عز الدين اسماعيل عنصر الأصالة والتفرد فجعلها قراءة تابعة لا يوجد فيها إبداع ،فالتوجه الوجودي هو الذي فرض ذاته على قراءة عز الدين إسماعيل في مقاربته للمقدمة الطللية .[3]

[1]-الشيخ لأحمد الشنقيطي ،شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، دار الأندلس ،لبنان ، ط5 ،1983،ص117،نقلاعن محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص85

[2]-ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص86

[3]-ينظر، المرجع نفسه ،ص87

و تنقسم القصيدة الجاهلية إلى قسمين قسم ذاتي الذي يتمثل في المقدمات و قسم ثان غيري و هو الذي يعبر فيه الشاعر الجاهلي عن و فائه بالعقد الإجتماعي ، ويمثل القسم الذاتي للقصيدة محاولة لإثبات وجود الشاعر الجاهلي أمام مشكلة الفراغ في حياته ،و هذه القراءة عممت الحكم فجعلت من الطرح الإجتماعي النفسي منهجاً لها في مقاربة مقدمات القصائد الجاهلية بشتى أنواعها و منها المقدمة الطللية .[1]

ويشير يوسف خليف إشارة دقيقة إلى تضافر ما هو اجتماعي مع ما هو نفسي في صنع اللحظة الطللية ، و قد مهد الطريق لمقاربة هذه الظاهرة في بعدها الإجتماعي و كان سبباً في تفجير الكوامن النفسية ، و بذلك فتح المجال أمام العامل الإجتماعي حتى يؤخذ في المقاربة ، و لا يستبعد البعد النفسي الأنطولوجي بالطرح حتى لا تصبح المقاربة ضيقة الأفق .[2]

المكان والزمان :

يرى الكاتب أنه يصعب على القراءة الفصل بين المكان والزمان و تناولت القراءة أي عمل إبداعي ذلك كون امتزاجها امتزاج عضوي في صنع الموقف داخل العمل الابداعي ولأن المكان والزمان أكثر اقترانا وأشد التحاما مما يتصور الفلاسفة ،وبسبب هذا الاقتران كثيرا ما يستعيرون الألفاظ الدالة على الزمان للتعبير عن المكان ،و يتكون الموقف في التجربة الفنية بحسب طبيعة الزمان والمكان وتشابكهما فيما بينهما وبين العناصر الأخرى المكونة للعمل الابداعي ،من لغة ومضمون وغيرها من العناصر .[3]

كما يشير إلى أن المكان و الزمان يمثلان عنصرين أساسيين في الأعمال الابداعية الكبرى شعراً ونثرا ،كما يأخذان بعدا دراميا في صنع الفضاء الابداعي داخل العمل الأدبي وبذلك يشكلان قطبان أساسيين في العمل ، ويؤديان دوراً في تكوين هوية الكيان الجماعي للشعوب

[1]-ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص 90-96

[2]-ينظر، المرجع نفسه ،ص 98-101

[3]-ينظر، المرجع نفسه ،ص 102

ويعبر عن المقومات الثقافية و المعرفية والجمالية لكل شعب ،وهو رمز إنساني يأخذ في كثير من دلالاته منحى جمالي ،يعبر عن موقف وجودي يتعدى المحدود الفيزيائي إلى اللامحدود المعرفي .[1]

ويرى أيضا أن القراءة العربية الحديثة أكدت على أن حضور المكان والزمان في الشعر الجاهلي كان نتيجة تأمله من حوله ،إذ وجود مظاهر الطبيعة الأرضية و السماوية فرضت نفسها عليه كما ركزت هذه القراءة على ظاهرة الطبيعة في الشعر الجاهلي فقرأت من خلال حضوره كقيمة أنطولوجية وجودية لها طابع نفسي لا كقيمة فيزيائية ،فحضور الجيل كمكان فيزيائي كان يؤدي دور خلق الفضاء الزماني من خلال قيمة الخلود إضافة إلى دلالات أخرى كالصمود والتحدي ،وهي دلالات كان الشاعر الجاهلي يسعى إلى الالتصاق بها من أجل إثبات ذاته .[2]

و يسعى الشاعر الجاهلي إلى محاولة تملك المكان باللجوء إلى العمل من أجل إثبات ذاته وكانت الفروسية و المغامرة هي الصفة التي تحقق ذلك، فإثبات الذات هو سلاح الوحيد الذي رأى فيه فعالية في مواجهة المكان ولا يتحقق إثبات الذات إلا الفروسية ، لهذا هناك حضوراً قويا للفروسية وخصالها في الشعر الجاهلي ، فحياة الشاعر الجاهلي كانت بؤرة نفسية يتلاقى فيها المكان والزمان ، وخير وسيلة لإثبات الذات هو أن يكون فارسا مجابها لمصاعب الحياة النابعة من المكان والزمان الذي يعيش فيه.[3]

يرى الكاتب أن الخيال في الشعر الجاهلي هو الصانع الأساسي للطيف في الطلل و هذا ما لمحت إليه قراءة يوسف خليف ، إذ أن من خلال الطيف يحاول الشاعر الجاهلي استرداد الماضي المفقود ، إذ يحقق الخيال عن طريق الطيف وظيفة تعويضية يحقق الشعر التطهير من خلالها مما يجعلها آلية دفاعية جبارة مما يعني أن وظيفة الطيف الكبرى هي صيانة التماسك الداخلي للذات كما أشار الشاعر الجاهلي للطيف في جانبه الذاتي المرتبط بالمرأة وحسرت وظيفته في علاقته

[1]-ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص 103

[2]-ينظر، المرجع نفسه ،ص105

[3]-ينظر، المرجع نفسه ،ص106-107

بالزمن الطللي إذ تعتبر الطللية إحدى النماذج الإبداعية العليا التي اصطفتها فلسفة الخطاب الشعري الجاهلي لتحمل الهم الإجتماعي ممزوجا بذات فيه صدق التعرف على الواقع وإدراك الفوارق الموجودة فيه وان الشعور المغلقة للزمان هو صورة الجوهرية لهذا التركيب الكلي للطللية الجاهلية الذي يجعل جميع التركيبات الشعورية الأخرى في حيز الإمكان .[1]

كما تعد المقدمة الطللية الإطار المحدد لخصوصية اللحظة الدرامية المصورة للذات العربية في تاريخها الأول تتضمن بعدا نفسيا يتجلى في صورة المكان ومما لا شك فيه أن الصورة الشعرية بتكوينها الزماني تزيد من الخصوصية الدرامية للطلل اذ يشير المكان والزمان فيها عبر امتزاج جمالي بالمرأة إلى الحس المأساوي النوستالجي الذي يحمله الطلل في القصيدة الجاهلية إذ تكون المرأة المثير الرئيسي لحس المكان والزمان مما أضفى بعدا جماليا على العناصر الثلاث الممزوج بالطابع النفسي النوستالجي .[2]

القلق :

من وجهة رأي كاتبنا القلق ظاهرة نفسية مصاحبة لكل نفس بشرية لهذا فجل الكتب اللغة تجمع على أن القلق يأخذ دلالتين أحدهما حسي يتجسد في مادية الشيء فيأخذ حالة الاضطراب وآخر معنوي يصيب المشاعر فيجعل النفس تفتقر الى السكينة فتصاب بالحيرة والانزعاج والحزن واهتمت الدراسات النفسية الحديثة بالقلق كظاهرة وسلوك نفسي فركزت على التفريق بين القلق وبين الهم والخوف فلاحظت على أن الخوف والهم لهما مدلول واحد تعبر عن حالة نفسية واحدة بينما القلق هو حالة من الخطر يتسم بالغموض وعدم وضوح أسبابه والشاعر الجاهلي لم يكن بمنأى عن هذا الإحساس "القلق" لذلك فحضور القلق مميز في الشعر الجاهلي، [3]ويقول امرؤ القيس وهو يصور علاقته بالليل :

---

[1]-ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص 108-109

[2]-ينظر، المرجع نفسه ،ص 109- 111

[3]-ينظر، المرجع نفسه ،ص 112

وليل كَمَوْجِ البَحْر أَرْخَى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي

فَقُلْتُ لَهُ لما تمطى بَصُلْبه وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بكلْكَل

أَلَا أَيُهَا اللَيْلُ الطويل أَلا انجلي بصُبْح وَمَا الإِصْبَاح منْك بأمثل

فَيَالَك من لَيل كَأن نُجُومَه بأَمْرَاس كَتَان إلى صم جَنْدَل .[1]

ويشير كاتبنا أيضا إلا أن القراءة النفسية الحديثة حاولت ان تقارب بظاهرة القلق في الشعر الجاهلي من خلال الوقوف على أبعاد مختلفة سواء كان الأمر متعلق بالبعد الإنساني العام أم بالبعد التاريخي الخاص ،فأخذت من التاريخ والواقع السياسي والإجتماعي والجاهلي ساقا مساعدا على ذلك ، ومن النص الشعري الجاهلي مصدرا لها لأنه منها ينبع التفسير والتحليل دون إهمال العلاقة الكامنة بين هذه النصوص والسياقات الواقعية الإنسانية البيئية منها والإجتماعية والشعورية.[2]

وعلى حد قول كاتبنا تعد قراءة أحمد خليل ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي من القراءات الحديثة التي أفردت موضوعها للقلق وتجلياته في الشعر الجاهلي وأن قراءته ستجعل من النص الشعري الجاهلي والشاعر الجاهلي والواقع الجاهلي عناصر اساسية في مقاربة هذه الظاهرة وأنها ستتخذ من أطروحات علم النفس أدوات إجرائية للمقاربة وذلك ما يؤكد أن الشاعر الجاهلي عاش في قلق الاختيار بحثا عن حل دون العثور عليه وبذلك كان القلق يعتبر العنصر الخصب الذي أمد الشاعر الجاهلي ديمومة التحول في التجربة الشعرية التي لا تتحقق إلا بهدم لحظة السكون .[3]

وفي نظر كاتبنا أن تأسيس أحمد خليل لقراءة القلق في الشعر الجاهلي يؤكد أن لهذا القلق منحيين أساسيين هما القلق الوجودي والقلق الإجتماعي والديني وأن القلق الإجتماعي والديني ما

[1]-كثير عزة ، الديوان ، جمع وشرح إحسان عباس ،دار الثقافة ،لبنان ،نقلاً عن محمد بلوحي ،آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص113

[2]-ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص113

[3]-ينظر، المرجع نفسه ،ص114

هما إلا رافدان مساعدان على تجلي القلق الوجودي في الشعر الجاهلي وذلك باعتبار أن أزمة الشاعر الجاهلي كانت أزمة وجودية في الأساس لذلك ركز أحمد خليل على القلق الوجودي في مقاربة الشعر الجاهلي .[1]

ويشير كاتبنا إلى القراءة النفسية اعتبرت علاقة الشعر الجاهلي بالعالم من حوله وتفاعله معه من بين المصادر الأساسية للقلق بحيث يستند إلى أن الشعر هذا الزمان والمكان والمجتمع من بين المؤثرات الكبرى إلى وصول الشاعر الجاهلي نحو القلق والاضطراب فالزمن يحمل قضايا كونية واقعية والمكان أيضا لذلك كان الأثر الجغرافي واضح في القلق إزاء المكان.[2]

يرى محمد بلوحي أن المقدمة الطللية و الزمان و المكان و القلق شكلت جملة من الظواهر التي حاولت القراءة النفسية مقاربتها في دراستها للشعر الجاهلي ،فحاولت تطبيق أسس المنهج النفسي والتي ترى أن الشعر الجاهلي ما هو إلا إفراز طبيعي لتعارض "مبدأ اللذة " مع "مبدأ الواقع" في نفسية الشاعر الجاهلي ،وبخاصة في مقابلتها للمقدمة الطللية والعمل الفني في رأي التحليل النفسي ليس وحيد الجانب فيه يتفاعل الاتجاهان المتضادان ،وأن الحياة النفسية و العقلية تتركب من تضاد وتفاعل مطالب الواقع ،على نحو ما تعبر عنها التقاليد الاجتماعية و الأنظمة الأخلاقية .[3]

كما أن القراءة النفسية للشعر الجاهلي تتعامل مع التراث الشعري تعاملا يحمل روح المعيارية ،في الأحكام النقدية إلا في طرح يوسف اليوسف في المقدمة الطللية التي جعلت هذه المقاربة من الشاعر الجاهلي فرداً عصابياً ،وما يحيط به من ملابسات تاريخية وسياسية عملاً فعالاً في تشكيل هذه الرؤية ،وبذلك فإن إهتمام القراءة النفسية بشخصية الشاعر وسيرته ،في معظم الأحيان ما هو إلا هروباً من النص ومشتقاته أو تسوية وهمية بين النص وصاحبه ويقول مصطفى

[1]- ينظر، المرجع نفسه ،ص114

[2]- ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص115

[3]- ينظر، المرجع نفسه ،ص118-119

ناصف "فالفن ليس تعبيراً فحسب ،الفن يحتوي على كثير من العناصر التي يضع الفنان يده عليها حين يقرأ تاريخ الفن ،ولا تنبع من حاجاته الشخصية وأهدافه الذاتية وقد قال "فرويد"في بعض كتاباته الأخيرة أن العمل الفني لا ينمو على ما يُحبُ ويختار، بل هو يواجه مؤلفه أحيانا مواجهة خلق مستقبل غريب عنه ".[1]

القراءة الأسطورية (مدخل نظري)

يرى محمد بلوحي أن الخلفيات المعرفية التاريخية منها النفسية والاجتماعية هي المهيمن الرئيسي على القراءة الحديثة عبر مسارها السياقي و ذلك باعتمادها على المقولات التاريخية النفسية والاجتماعية ومع ظهور علوم جديدة تمت صياغة مفاهيمها وفق رؤية جديدة ومن أهم هذه العلوم علم الأنثروبولوجيا بزعامة "تايلر و"فيرز" وكاسيرار" و "تورتروب فراي" حيث اهتمت هذه الدراسة على تتبع الجنس البشري وذلك من خلال تفحص الموروث الثقافي الذي خلفه منها الأشكال الرمزية للإنسان البدائي وذلك في حقل كل من اللغة و السحر و الأساطير باعتبار هذه الحقول الثلاثة هي جوهر الفلسفة الرمزية للإنسان البدائي.[2]

ويشير أيضا إلى أن القراءة الحديثة في النقد العربي تأثرت كثيراً بالتوجه الأنثروبولوجي فتظهر فلسفة كارل يونغ وخاصة في نظرية "الأنماط العليا واللاشعور الجمعي الدور الرئيسي في تأسيس القراءة الأسطورية التي تسعى إلى مقاربة" الميت يوديني "في الأعمال الإبداعية وذلك بالاعتماد على عوامل الوارثة في القديم، فالفنان حين يتقمص دور البدائي فإنه يستعيد تلك الصور والتي يقر الجميع بأنها تشكل الوجود الانساني.[3]

[1]- ينظر، مصطفى ناصف ،دراسة الأدب العربي ،دار الأندلس ،لبنان ،ط3 ،1983 ،ص147 ،نقلاً عن ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص 120-121

[2]- ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص 126.

[3]- ينظر، المرجع نفسه ،ص 126.

ويضيف أن العامل الذي اعتمد عليه كار يونغ في بناء نظريته هو العامل القبلي، فربط النفس قبل الشعورية للطفل ليست وعاء فارغاً يمكن أن يصب فيه أي شيء تحت ظروف خاصة لأن تلك النفس كينونة معقدة ووجود محدود يبدوا غامضاً لأنه لا يمكن رؤيته مباشرة.[1]

ويرى كاتبنا أن تايلر سعى إلى تأسيس لعلم الأنثروبولوجيا الثقافية منطلقاً من فكرة هي " يجب أن لا ننسى الأصل " ويعد مؤلفه " الثقافة البدائية" من الدراسات التي أسست للمقولات الكبرى للقراءة الأسطورية وذلك بالاعتماد على نظرية داروين عن أصل الأنواع، القائلة بأن أصل الطبيعة لا تتجزأ، فالأصل فيها واحد والأطروحات التي قال تايلر هي التي وجدت صدى واسعاً في القراءة الأسطورية في تعاملها مع الموروث الثقافي.[2]

وأهم الدراسات الأنثروبولوجي الحديثة كتاب " الغصن الذهبي " سير جيمس فريزر" الذي سعى فيه جاهداً إلى تطبيق المنهج الأنثروبولوجي التطوري المقارن من خلال مقاربة الموروث الانساني بعيداً عن الإطار الإقليمي، وفي الغصن الذهبي يقوم طرح فرايز على علاقة الإنسان بالكون من خلال الممارسة السحرية و الدينية في شعائرها الأساسية وطقوسها هي البنى المركزية لجوهر الأسطورة عند الشعوب البدائية.[3]

ويشير كاتبنا أن نور ثروب فراي يعد من النقاد الذين سعوا إلى إقامة منهج نقدي يعتمد في أصوله على نظرية الأنماط البدائية واللاشعور الجمعي، ويظهر ذلك في كتابه "تشريع النقد" وفي تأسيسه للقراءة الأسطورية يرى أن في الأدب ثلاث تنظيمات الأول هو الأسطورة غير المزاحة وتعني بشكل عام الآلهة أو الشياطين، وتأخذ شكل عالمين متعارضين أحدهما مرغوب فيه وآخر مرغوب عنه، وهذان العالمان هما في الغالب الجنة والنار، والثاني هو الاتجاه الرومنسي: وهو ينحو إلى الإيحاء بأنماط أسطورية متضمنة في عالم وثيق الصلة بالتجربة الإنسانية.[4]

---

[1]- ينظر، المرجع نفسه ،ص 126- 127.

[2]- ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص 127.

[3]- ينظر، المرجع نفسه ،ص 128.

[4]- ينظر، المرجع نفسه ،ص 128، 129.

والاتجاه الثالث هو" الاتجاه الواقعي" وهو يشدد على المضمون و التمثيل في القصة بدلاً من التشديد في شكلها، يبدأ الأدب الساخر بالواقعية ثم يصل إلى الأسطورة، والقاعدة في أنماطه الأسطورية أنها توحي بالشياطين أكثر من الكشفي، حيث أن ثروب فراي يولي أهمية بالغة لنظرية الأنماط البدائية في مقاربة الأعمال الإبداعية، وبذلك فالمقاربة الجادة والمتميزة هي التي تقف أمام النص الإبداعي تتأمله قصد استكشاف منظومته الأسطورية.[1]

ويشير كاتبنا أن مجيئ أرنست كاسيرر جاء ليعمق البحث في دور الأسطورة كشكل من أشكال التعبير الرمزية في حياة الإنسان، حيث يرى أن جوهر الاسطورة هو في دفع حركة التطور الفكري والحضاري، وهي نتاج الطاقة الرمزية التي يملكها الإنسان ويمتاز بها. ومن ثم اعتبر كاسيرر أن اللغة و الأسطورة والفن والدين أشكال حضارية تبدعها الطاقة الرمزية بصفة أن الإنسان مخلوقًا رامزاً.[2]

وفي تأسيس للقراءة سعى كاسيرر من خلال طرحه أن القراءة تعتمد على الآليات الميثيولوجية في مقاربة الفن و هو من الرواد المؤسسين للقراءة الأسطورية لأن " الأسطورة من أقدم المؤثرات وأعظمها أثراً على الحضارة الإنسانية، وهي وثيقة الصلة بكل الأفعال الإنسانية الأخرى، فهي لا تنفصل عن اللغة والشعر والفن والفكر التاريخي في صورته القديمة"[3]، وبذلك فالفكر الأسطوري هو جوهر الإبداعات الإنسانية الكبرى عبر التاريخ.

ميثيودينية الشعر الجاهلي:

يرى محمد بلوحي أن ميثيودينية الشعر الجاهلي من الغايات الكبرى التي حاولت القراءة الأسطورية أن تثبتها معتبرة أن الشعر الجاهلي في أصل جوهره لغة منسية، ثم بدأت القراءة الأسطورية العربية تلمس العناصر الميثيودينية في الشعر الجاهلي باعتباره الرحم الأول في الثقافة العربية، على الرغم من

[1]- ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص 130.

[2]- ينظر، المرجع نفسه ،ص 131.

[3]- كارل نالينو، تاريخ الآداب العربية، دار المعارف ، مصر، ط2، 1980، نقلا عن محمد بلوحي، آليات الخطاب النقدي العربي في مقاربة الشعر الجاهلي، ص 131،132.

المؤشرات الكثيرة التي تؤكد أن العنصر الميثيوديني كان حاضراً وبقوة في تشكيل الفضاء النصي في الشعر الجاهلي إلا أن القراءات العربية تهتدي إلى ما هو ميثيوديني.[1]

ومن أول المقاربات التي حاولت ان تأسس للقراءة الأسطورية، أهمية الدرس الأنثروبولوجي في تأسيس للدراسات النقدية الحديثة ذات الاتجاه الأسطوري ودعوة طه حسين في كتابه " قادة الفكر" يرى أنه ليس بدعا أن تبحث عن فلسفة العرب ودينهم ونظمهم المختلفة، وحياة عقولهم، فلا تجدها إلا في الشعر فالشعر ديوان العرب، ومن ثم فالحياة الدينية هي الجوهر الذي يستمد منه روحه وديمومته.[2]

وحاول طه حسين لفت لانتباه إلى الإهتمام بالأساطير ومن ثم ظهرت المحاولات للاهتمام بالفكر العربي عامة والسعر الجاهلي خاصة فكانت دراسة محمد عبد المعيد كان " الأساطير و الخرافات عند العرب" حاول فيها التعريف بالأنثروبولوجيا العربية ومدى ثقافتها مع الأمم الأخرى.[3]

ويشير كاتبنا أنه حاول عبد الله الطيب في مؤلفه " المرشد إلى فهم اشعار العرب وصياغتها" التي استمدت آليتها من الطرح الميثيوديني وذلك من أجل أن يبحث عن العلاقة الجوهرية بين النسيب في المقدمات العربية وعقائد العرب الأولين وخاصة في تقديس المرأة، في كثير من الرموز الشعرية التي وردت في الشعر الجاهلي وضمنها كثيراً الميثيوديني.[4]

كما اهتم مصطفى ناصف في مؤلفه" قراءة ثانية لشعرنا القديم " بالكثير من الجوانب الميثيودينية في الشعر الجاهلي، وكان دافعه في ذلك اقتناعه أن القراءات السابقة للشعر الجاهلي وخاصة القراءات ذات التوجه التاريخي أو النفسي كرست نمطية من الأحكام حتى أصبحت أحكاماً جاهزة ،تفرض على هذا الشعر فأساءت إليه أكثر مما خدمته وحاول كذلك الاستفادة

[1]- ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص 132.

[2]- ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص ،ص 132.

[3]- ينظر، المرجع نفسه ،ص 132.

[4]- ينظر، المرجع نفسه ،ص 133.

من نظرية يونغ، فالشعر الجاهلي يحمل في لغته وصوره أشكالاً نمطية محددة قبلياً، وبهذا كان الشاعر لا يخاطب نفسه ومجتمعه إلا من خلال استنطاق الماضي وقد عبر عنها في لغة رامزة عبر عدة موضوعات، تكررت بكثرة في الشعر الجاهلي منها الطلل، و الرحلة والناقة و المرأة وكلها موضوعات تحمل من الأبعاد الميثيوديني.[1]

أثبت محمد نجيب البهبيتي أن أول نص عربي هو ملحمة جلجامش في مؤلفه " معلقة العرب الأولى " ومن ثم فالأصول الأولى للشعر العربي ميثيودينية بالأساس، وكانت هذه المحاولات بمثابة أوليات للقراءة الأسطورية للشعر الجاهلي واستطاع أصحاب هذه المحاولات أن ينبهوا إلى أن مسألة ميثيودينية الشعر الجاهلي تحتاج إلى بحث وتأسيس، وهذا وفق آليات علمية ورؤية مبصرة وكانت بداية التأسيس لمرحلة التوثيق والطرح المبني على مقولات نقدية كبرى.[2]

ويشير كاتبنا أنه من القراءات المبكرة ذات الطابع الأكاديمي الممنهج المبني على رؤية ومرجعية أنثروبولوجية متخصصة ،التي حاولت أن تقارب الشعر الجاهلي، مقاربة تعتمد في أدواتها الإجرائية على المنهج الميثيوديني، واعتمد عبد الجبار المطلبي في قراءة" قصة ثور الوحش وتفسير وجودها في القصيدة الجاهلية على أدوات إجرائية، تعود في أصولها إلى تمثل التطور الذي لحق حقول المعرفة الإنسانية الحديثة وبخاصة علم النفس والأنثروبولوجيا وعلم الأثار، وفي نظره النص الشعري الجاهلي مر بمرحلتين أساسيتين :[3]

مرحلة النص الشعري الذي قيل بلهجة كل قبيلة من القبائل ،وهذا الشعر ضاع أغلبه بسبب الرواية الشفهية وهو يعبر عن الأمة العربية قبل الفترة الجاهلية ،ولكن ضياع شعر اللهجات لا يعني أن جوهره الأسطوري ضاع هو كذلك ،وإنما أتنقل بفعل الذاكرة الشعبية في قالب ديني اختلط في كثير من جوانبه بالطقوس والعادات والتقاليد الاجتماعية ،التي ارتكزت عليها المخيلة

[1]- ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص 133.

[2]- ينظر، المرجع نفسه ،ص 133.

[3]- ينظر، المرجع نفسه ،ص 134

الشعرية الجاهلية وبهذا لا يوجد اختلاف بين البدء في الشعر العربي ،والمرحلة المتأخرة التي وصلنا من العصر الجاهلي التي وصلنا شعرها فكله ذو أصول ميثيودينية ويؤكد هذا الطرح أن الشعر الجاهلي المكتوب باللهجات المحلية ،والنص الشعري الجاهلي المكتوب اللغة العربية الموحدة فكل منها تتمتع بحضور طابع الميثيوديني، وذلك بفعل تسرب الطقوس والعادات عبر اللاوعي الذي يعبر عن ضمير الشعوب.[1]

أما المرحلة الثانية فجعلت من المرجعية الأنثربولوجية في مقاربة الشعر الجاهلي ،منطلق لها وفي مقاربة نصرت عبد الرحمن" الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث" فانطلق من مرجعية فلسفية تعتمد في آلياتها على فلسفة كارل يونغ ،القائلة بنظرية اللاشعور الجمعي والنماذج العليا في مقاربتها للأعمال الإبداعية الكبرى: فالشعر في طرح نصرت عبد الرحمن ينطق حقيقة عليا ،وأبدى اهتماما كبيرا بمسألة الرموز في الشعر الجاهلي، وعد المرأة رمزاً والشمس كذلك والفرس وكلها رموز ذات أبعاد ميثيودينية.[2]

ويشير كاتبنا أن مقام به نصرت عبد الرحمن من استقراء شامل لبعض موضوعات الشعر الجاهلي واستخلص نتائج كثيرة منها، أخضع الشعر الجاهلي للمعايير والمقومات الخاصة لأدب لاهوت اليونان الرومان ،والشعر العربي القديم حافل بالدلالات الرمزية التي عبرت عن الحضارة للمجتمع العربي ،ويبدو هذا مقاربة للعلاقة بين الرمز والصيغ التراثية (السماع) وأثر تلك العلاقة في الوحدات الثقافية "الشعر" [3]

ويستهل علي البطل دراسته للشعر العربي القديم بمقدمة نظرية، يتناول فيها الصورة كمفهوم جمالي وفلسفي، قبل أن يكون مصطلحا نقديا، فبدأ مع الصورة منذ أن تسربت إلى الثقافة العربية، وفصلت بين الشكل والمادة الفلسفة الأرسطية ،فتجلت إثرها إشكالات منها ما يتعلق بعلوم

[1]- آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص134

[2]- ينظر، المرجع نفسه ،ص135

[3]- ينظر، المرجع نفسه ،ص 136-137

القرآن وتفسيره وما تعلق بالموروث الشعبي وكان ذلك من آثار المنطق الأرسطي على مباحث البلاغة العربية.[1]

وحاول الشعر الصوفي – في نظر علي البطل – أن يعيد مسألة الخيال الى مسارها الصحيح ،وبخاصة عند ابن العربي الذي أعاد لها منزلتها السامية بوصفها قوة تستمد مادتها من عالم المحسوسات ،ثم تعيد تركيبها في صورة جديدة، على الرغم من الطرح الصوفي تميز بنظرية المتقدمة في تعامله مع مسألة الخيال ويهتم علي البطل بالأشعار بوصفها أداة تصويرية في جوهرها وليست زخرفية كما هي مند البلاغيين القدماء، ولذلك رأى أن الاستعارة في الشعر الجاهلي لغة أسطورية ذات بعد ميثيوديني ،فربط الاستعارة ببداية اللغة نفسها حيث تعاونت استعارتها ورموزها في خلق الأساطير والملاحم.[2]

وهذه المنطلقات النظرية في مقاربة الشعر الجاهلي جعلت علي البطل يطرح الأصول الأسطورية للصورة الفنية في الشعر الجاهلي ،معتبراً أن ما يواجه الباحث في المرتكزات الأساسية للصورة في الشعر الجاهلي هي البحث في أصول الجينالوجيا لهذا الشعر، إلا أن هذه المهمة شاقة لما ارتبط هذا الشعر بمرحلة شفهية يصعب البحث في مصادرها الابداعية وينطلق علي البطل في البحث عن الصورة الفنية في الشعر الجاهلي من الطرح الميثيولوجي ،فيرى أن الغموض في مكونات الصورة الشعرية الجاهلية لا يمكن إلا إذا عاد الباحث إلى عقائد العرب القديمة ومعبوداتهم لأن فيها المصدر الرئيس لتشكل الصورة الفنية في الشعر الجاهلي.[3]

يرى محمد بلوحي من خلال طرح هذه الأطروحات التي حاولت القراءة العربية الأسطورية أن تقارب بها الشعر الجاهلي ،هو القول بمثيودينية الشعر الجاهلي كان الدافع الرئيس وهو الغاية

[1]- ينظر، المرجع نفسه ،ص 138

[2]- ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص 138-139

[3]- ينظر، المرجع نفسه ،ص 140- 142

التي تريد الوصول إليها القراءة العربية الأسطورية ،وهذا ما يلاحظه في تتبع المكون المثيوديني للصورة في الشعر الجاهلي .[1]

المكون الميثيوديني للصورة في الشعر الجاهلي:

يشير محمد بلوحي أنه سعت القراءة العربية الحديثة سعت إلى مقاربة المكون الميثيوديني للصورة في الشعر الجاهلي ،بالرغم من أن القراءة التاريخية حاولت التشكيك في الشعر الجاهلي وذلك بالقول أنه منحول ،بحجة أنه لا يصور الحياة الدينية للإنسان الجاهلي وهذا هو الأمر الذي جعل القراءة الأسطورية تبرز الجانب الميثيوديني في القصيدة الجاهلية ،ومن الصور التي وردت في الشعر الجاهلي ذو أصول ميثيودينية ،صورة المرأة والحيوان وبعض مظاهر الكون كالشمس والقمر ولمعرفة مكونات هذه الصور عادت القراءة الأسطورية إلى الأصول المعرفية ،التي استقتها من "يونغ وفرايزر ونورثروب فراي وكاسيرر وغيرهم فاستمدت المنهج والأدوات لمقاربة المكون الميثيوديني للصورة في الشعر الجاهلي . [2]

صورة المرأة

يشير محمد بلوحي على أن القراءات الاسطورية للشعر الجاهلي ركزت في مقاربتها للمكون الأسطوري للصورة في الشعر الجاهلي على صورة المرأة، وتصفها بأنها صورة تكررت في جل الموروث الشعر الجاهلي حيث اعتمد الشاعر الجاهلي على التشبيه ومن الأوائل الذين تحسسوا الصورة آلية في الشعر الجاهلي عبد الرحمن نصرت الذي اعتمد في الرسم صورة المرأة على التشبيه فشبهها بالدمى والشمس والغزالة[3]، ويقول نصرت عبد الرحمن" قد بات من سقط المتاع بأن وظيفة التشبيه في الشعر الجاهلي هي التزيين والتوضيح ...ولكن التشبيه يضرب في أعماق الوجود

[1]- ينظر، المرجع نفسه ،ص 142

[2]- ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص142

[3]- ينظر، المرجع نفسه ،ص 142

الإنساني الذي يسعى إلى اقتصاص الحقيقة والمشبه و المشبه به إذا ما كثر ترددها يدلان على العلاقة رمزية أبعد من العلاقة الظاهرية بين الطرفين".[1]

وفي طرح نصرت عبد الرحمن فآلية التشبيه في الشعر الجاهلي عنده ،أعمق من أن تكون آلية من آليات الايضاح وتقريب الصورة من المتلقي بل يركز على العلاقة الرمزية بين طرفي التشبيه.

ويشير علي البطل بأن الصورة المرأة في الشعر الجاهلي نابعة في مكونها الجوهري من الإشكاليات الكبرى التي واجهها الانسان القديم وخاصة مشكلة الميلاد يقول علي البطل" إذ رأى الانسان القديم أن التناسل سر تختص به المرأة وحدها وليس للرجل دور فيه لذلك كان الجميع ينتسبون إلى الطوطم المقدس في القبيلة، ولقد ربط الانسان سر الخصوبة في المرأة بسر الخصوبة في الأرض، في المجتمعات الزراعية بشكل خاص، لذلك عبدت الأرض بوصفها أما، ورمز لها في الدين القديم بالهات أمهات، أي بمعنى الامومة هو المعبود في حالة الآلهة الأرض والآلهة المرأة"[2] ويرى علي بطل أن في الخصوبة هي الرؤية الجوهرية لصورة المرأة في الشعر الجاهلي منها كان المنبع وإليها كان التصوير.

لقد وجد علي بطل في بعض النصوص امرئ القيس والمرقش والأعشى سندا فنيا يفسر به صورة المرأة وفق ما طرحه الميثيوديني، ومن أمثلة ذللك قول امرئ القيس

وَإذْ هيَ تَمْشي كَمَشْي النزيف يَصْرَعُهُ في الكَثيب البُهُرْ

بَرَهْرَهَةُ رُؤْدَةُ رَخْصَةُ كخُرْعُوبَة البَانة المُنْفَطرْ

فَتُورُ القيام قَطيعُ الكَلام تَفْترُ عَنْ ذي غُروب خَصرْ [3]

[1]-نصرت عبد الرحمن ،الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ،مكتبة الأقصى ،الأردن ، د ط ،1976 ،ص106 ،نقلا عن محمد بلوحي ،آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص 143

[2]-علي البطل ،الصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها ،دار الأندلس ،لبنان ، ط2 1981 ،ص 56-57 ،نقلاً عن ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ص144-146

[3]-كثير عزة ، الديوان ،جمع وشرح إحسان عباس ،ص 232-233 ،نقلا عن محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص148

ويشير علي البطل عند هذا النموذج على خاصية التصوير التي اعتمد عليها امرئ القيس في رسم صورة المرأة ،حيث يؤكد علي البطل ارتباط صورة المرأة بالبعد الميثيوديني أنه واضح في الشعر العربي قبل الاسلام وهو وثيق الصلة بالدين القديم.[1]

صورة الحيوان:

ثور الوحش :

وفي نظر كاتبنا تعد صورة الحيوان في الشعر الجاهلي من الآليات الرئيسية التي اعتمد عليها الشاعر الجاهلي في تركيب الصورة الكلية ،داخل القصيدة الجاهلية وربطت القراءة الاسطورية كثرة توارد قصة ثور الوحش في القصيدة الجاهلية ،بالأصول الميثيودينية وأطروحاتها وتصوراتها مستعينة في ذلك بالعلوم الميثيولوجية و الاجتماعية وحتى النفسية ،فصورة ثور الوحش في القصيدة الجاهلية ضاربة جذورها في أعماق التاريخ الانساني السحيق ،لها صلة بقصة الانسان في هذا الوجود .[2]

الناقة:

تعد الناقة من الحيوانات التي كان لها الحضور المميز في القصيدة الجاهلية ،ولا تكاد تخلو هذه القصائد الجاهلية من وجودها مما جعلها عنصراً قوياً ،في تشكيل الصورة الكلية داخل القصيدة الجاهلية وتعد الناقة من الوسائل الفنية التي وظفها الشاعر الجاهلي للتعبير عن هذه القضية الأزلية ،وبذلك فإن صورة الناقة أخذت بعداً فنياً وجماليا وفكريا في الشعر الجاهلي .[3]

مظاهر الكون:

يرى محمد بلوحي أن الصورة في العصر الجاهلي من صعوبته الفصل في أجزائها أن ليمكن التطرق إلى الصورة دون الحديث عن مكونات هذه الصورة وهذا ما تدل عليه القراءة الاسطورية فهي تشير إلى ميثيودينية الصورة والشمس والقمر من خلال تفصيلها وأن المرأة وثور الوحش هما

[1]- ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص 149-150

[2]- ينظر، المرجع نفسه ،ص 151-160

[3]- ينظر، المرجع نفسه ،ص 163- 181

عنصرين جوهريين في الصورة داخل القصيدة الجاهلية وأما الشمس والقمر فهما مكملان لهذين الصورتين فقط.[1]

الشمس:

سعت القراءة الأسطورية من أجل تأكيد ميثيودينية صورة الشمس في الشعر الجاهلي وأن صورة الشمس كانت تابعة في الأصل لصورة المرأة وفي طرح نصرت عبد الرحمن يبين صورة الشمس، الشمس نفسها كانت مقدسة عند الجاهليين ومن خلال طرح نصرت عبد الرحمن يتبين أن الشمس كانت معبودة عند الجاهليين فهو يسلك مسلك ميثيوديني في طرحه لصورة الشمس في الشعر الجاهلي.[2]

القمر:

سعت القراءة الأسطورية إلى تأسيس أطروحتها حول ميثيودينية الشعر الجاهلي وذلك من خلال مقاربة المكون الأساسي لصورة الحيوان والمرأة، فصورة المرأة والحيوان من الأمور التي ركزت عليها القراءة الأسطورية ولاحظت هذه القراءة أن الصور الأخرى هي تابعة لصورة المرأة والحيوان، ومن خلال القراءة الأسطورية للقمر يتبن أنه غالبا ما يكون مرتبطا بالتراث الشعري أو الموروث الثقافي، ويتبين أن في تحليل النصوص الشعر الجاهلي أن الشاعر في تلك الفترة يستمد عناصر صورة القمر من الطبيعة، فيكشف عن أحاسيس مشاعرة الداخلية بالتشبيه والاستعارة واللون والحركة. [3]

[1]- ينظر ،محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،ص172

[2]- ينظر، المرجع نفسه ،ص173-174

[3]- ينظر، المرجع نفسه ،ص174-177

الفصل الثاني:

دراسة وتقويم

دراسة أهم القضايا التي تضمنها الكتاب:

احتوى كتاب محمد بلوحي " آليات تحليل الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي " على عدة قضايا بارزة في تراثنا النقدي القديم وقد خصصنا الدراسة في هذا الفصل على " أولوية الشعر الجاهلي والمقدمة الطللية وقضية الانتحال."

قضية أولوية الشعر الجاهلي :

لقد لفتت قضية أولوية الشعر الجاهلي اهتمام الباحثين والدارسين ،واحتلت مكانة هامة في النقد العربي منذ القديم كما تحاول هذه الدراسة الى كشف عن البدايات الأولى لأولوية الشعر الجاهلي، وللحديث عن الأوليات في الشعر الجاهلي في المجالات الأدبية والفنية لا يمكن أن يصل إلى درجة اليقين وكل ما نستطيع أن نطمئن عليه هو ذلك التحديد الذي ذهب إليه الجاحظ حيث قال:

"أما الشعر فحديث الميلاد صغير السن أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه: امرئ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة وكتب أرسطا طاليس، ومعلمه أفلاطون ، ثم بطليموس وديمقراطس وفلان و فلان قبل بدء الشعر بالدهور، و الأحقاب ويدل على حادثة الشعر."[1]

ونلاحظ من خلال رأي الجاحظ أنه يعين عمراً للشعر الجاهلي وقد عرف وهو ناضج ومكتمل فنينا وموضوعيا وموسيقيا ويشير إلى أن الشعر الجاهلي مرّ بمئات السنين حتى وصل إلينا بهذه الصورة المكتملة وحتى تكون القصيدة الجاهلية مكتملة بأوزانها ومضامينها تظهر أنها مرت بأطوار كثيرة حتى اكتملت من النقاد الذين تناولوا هذه القضية أيضا نجد ابن السلام الجمحي

[1]- ينظر، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،الحيوان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجبل ،لبنان ، ط 2 ،1965 ص 74

الذي يقول في هذه القضية "ولم يكن لأوتار العرب من الشعر إلا أبيات يقولها الرجل في حاجته وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب."[1]

ويشير ابن سلام في هذه المقولة إلى البدايات الأولى للشعر العربي وأنه كان في صورة مقطوعات صغيرة وأبيات منفردة ويقول المهلهل ابن ربيعة في قصيدة يرثي أخاه:

أَلَيلَتَنا بِذي حُسُمٍ أَنيري إذا أَنتِ اِنقَضَيتِ فَلا تَحوري [2]

ومن خلال الرأيين نستنتج أن أولوية الشعر الجاهلي في بداياتها كانت على شكل مقطوعات تنشد للضرورة حيث تمتد فترة ميلاده إلى مائة وخمسين عام قبل الاسلام.

وإلى جانب الرأيين نجد يوسف خليف هو الآخر تطرق إلى أولوية الشعر الجاهلي فيرى أن الطريق الذي سلكه الشعر العربي من نقطة البداية الغامضة إلى مرحلة القصيدة التي تأخذ عندها معالم الطريق في الوضوح وعلى أساس هذا الاقتراب من الحقيقة التاريخية التائهة بين أستار الزمن المتكاثفة، والتي تأخذ في التكشف ونحن نقترب من عصر البسوس، نستطيع أن نسجل أن للشعر العربي في بداية رحلته التاريخية الطويلة بمرحلتين، مرحلة مبكرة سبقت عصر البسوس لعلها بدأت رجزاً مرتبطا بحياة الشعب العربي اليومية وشهدت في نهايتها ظهور تشكيلات موسيقية جديدة أذنت بظهور فكرة " المقطوعة وهي مرحلة نستطيع أن نطلق عليها " عصر ما قبل التاريخ الأدبي" أما المرحلة الأخرى مرحلة التاريخ الأدبي الصحيح فابتدأ مع عصر البسوس، مع تلك الطليعة المبدعة من الشعراء المعاصرين لهذه الحرب الذين تطورت المقطوعة على أيديهم إلى قصيدة طويلة أمثال المهلهل و الحارث بن عباد. [3]

[1]- ينظر ،ابن سلام الجمحي ،طبقات فحول الشعراء ،تحقيق محمود محمد ،دار المدني ،القاهرة ،مصر ،د ط ،د ت ،ص17

[2]- المرجع نفسه ص 18

[3]- ينظر ، يوسف خليف ،دراسات في الشعر الجاهلي ، دار الغريب ، القاهرة ، د ط ، 1981 ، ص 48

ومن خلال هذا الرأي نستنتج أن بداية الشعر العربي تزامنت مع حرب الباسوس حيث ظهرت على شكل مقطوعات أو البيت إلى أن تطورت ووصلت إلى قصيدة طويلة على يد المهلهل والحارث بن عباد.

المقدمة الطللية:

تميزت المقدمة الطللية باهتمام الشعراء والنقاد لأنها تتميز بمكانة مهمة في البناء الشعري فتعطيه جمالية خاصة، حيث أنها المدخل الرئيسي في القصيدة وتبين غرض الشاعر ،ويعد الطلل من أهم الموضوعات التي ترددت في القصيدة الجاهلية لعلاقته الوثيقة بالإنسان ونفسيته، ولتفسير ظاهرة الطلل نتطرق إلى التعريف اللغوي و الاصطلاحي.

التعريف اللغوي والاصطلاحي للطلل:

الطلل لغة: عند ابن منظور: هو ما شخص من أثار ا لديار ، والرسم ما كان لاصقا بالأرض وقيل الطلل كل شيء شخصه، وجمع كل ذلك أطلال وطلول وطلل الديار يقال : إنه موضع من صحنها يهيأ لمجلس أهلها.

يقال حي الله طلك وأطلالك أي: ما شخص من جسدك، وحي الله طلك وطلالتك أي شخصك والأطلال هو الإشراف على الشيء.[1]

المقدمة الطللية اصطلاحا:

هي تلك الأبيات الشعرية التي يستهل بيها الشاعر قصيدته الشعرية بالوقوف عن الاطلال ،باكيا على الديار وفراق الأحبة، قبل أن يدخل في موضوع قصيدته وقد عرف هذا ا منذ العصر الجاهلي ، وهي أكثر المقدمات شيوعا وأكثرها انتشارا في صدور القصائد القديمة، حتى أصبحت عبارة عن

[1]-ينظر ،ابن منظور ،لسان العرب ،دار صادر بيروت ،طبعة جديدة منقحة ، د ت ،ص 139

موروث فني يتداول في دواوين العرب مثل ديوان عبيد ابن الأبرص والنابغة الذبياني وزهير بن أبي الأبرص سلمى .[1]

شغلت المقدمة الطللية الدارسين كما شغلت أنفسهم، وأكدوا أولوية امرئ القيس في ابتداعها لكونه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب، واتبعته فيها الشعراء منها البكاء في الديار ويقال أن امرئ القيس حاكى شاعرا آخر في بكاء الديار فقد أشار ابن سلام إلى ذلك من خلال قول امرئ القيس :

عُوجا على الطّلل المُحيل لأننا نَبكي الديَار كما بكى ابن خُذَام.[2]

وابن جذام هو الشاعر الذي حاكاه امرئ القيس، ولكن القدماء لم يعرفونا بهذا الشاعر اذ اختلفوا في اسمه واضطربوا في أخبار حياته اضطراباً شديداً ، ولا شك أن الوقوف على الطلل يمثل تحولاً من الماضي إلى الحاضر على صعيد الزمن .

وقد كانت هناك محاولات كثيرة لتفسير ظاهرة الوقوف على الأطلال ،لذلك الخير أن نقف عند رأي ابن قتيبة في تفسير هذه الظاهرة لكثرة ما استشهد به الدارسون وقد ذهب ابن قتيبة إلى أنها تمثل جزءاً أساسياً من القصيدة العربية وذكر أنها ترتبط بأسباب نفسية حددها في قوله "سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيه بذكر الديار والدمن والآثار ،فبكى وشكى وخاطب الربع وأستوقف الرفيق ،ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها إذا كان نازله العمد في الحلول والظعن علي خلاف ما عليه زلزلة المدد لانتقالهم من ماء إلى ماء وانتجاعهم الكلأ وتتبعهم مساقط الغيث ،ثم وصل ذلك بالنسيب ،فشكا شدة الوجد وألم الفراق والشوق ليميل نحوه القلوب ،ويستدعي الصفاء الأسماع إليه لأن التشبيب قريب من النفوس لما

[1]- ينظر ،عبد العزيز بدوي ،دراسات في الأدب الجاهلي ،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،القاهرة ، د ط، د ت، ص 87.

[2]- ينظر، سامي يوسف أبو زيد ،الأدب الجاهلي، دار المسيرة للنشر والتوزيع ،عمان ، ط1، 2011ص 59.

جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل فلا يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب وضاربها فيه بسهم حلال أو حرام ،وشكا النصب والسهر وسرى الليل والهجير " [1]

وتكمن أهمية النص الذي أورده ابن قتيبة في كونه يلتفت إلى الجانب النفسي في تعليله الابتداء بذكر الديار والدمن والآثار ويعتمد ابن قتيبة على هذه المقولة ليجعل التقديم تمهيداً للموضوعات ويريد الشاعر الافصاح عنها ولم يحدد نوع المقدمات .

وكذلك من القدماء الذين عللوا النسيب تعليلاً بسيطاً ابن رشيق ،اذ ردوه إلى طبيعة الحياة الجاهلية تلك الحياة الراحلة الدائرة ويقول ابن رشيق "كانوا قديما أصحاب خيام ينتقلون من موضع إلى آخر ،فلذلك أول ما تبدأ أشعارهم بذكر الديار فتلك ديارهم ،وليست كأبنية الحاضرة ، فلا معنى الذكر الحضري الديار إلا مجازاً ،لأن الحاضرة لا تنسفها الرياح ،ولا يمحوها المطر إلا أن يكون ذلك بعد زمان طويل لا يمكن أن يعيشه أحد من أهل الجيل ". [2]

كما نظر المستشرق الألماني "فالتر برا ونه" إلى رأي ابن قتيبة بالاستغراب لأن فالتر يعتقد أن الشعراء صدروا في نسيبهم عن المشاعر الصادقة في نفوسهم ،وأنها تمثل قلق وجودي ونجده يبرر ذلك في قوله " الشاعر عضو في المجتمع البدوي مشترك في حياة عرب الجزيرة وبيئتهم ومن المفهوم أن كل ما يسوقه وصفاءً للناقة و الصحراء ، ومن فخر بالقبيلة ،و هجاء للعدو ،جدير بجذب مجتمعه ، فما الذي يلزمه بطلب الاصغاء ؟وما الذي يلزمه بطلب الإصغاء وما الذي يوجب عليه الأبيات الغريبة ؟ الزام عليه أن يميل أهله بمقدمة لوصفه ، مع أنه متأكد أن وصف البداوة يعجب أصحاب الحي ؟" [3]

[1]- ينظر، حسين عطوان ،مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، دار المعرف ، مصر ،د ط، 1970 ،ص219.

[2]- المرجع نفسه، ص 215

[3]- المرجع نفسه، ص216

يعتقد فالتر براونه أن الشعراء صدورا في نسيبهم عن مشاعر صادقة كامنة في نفوسهم ،ووصفوا ساعات اللهو والشرب والغزل والمداعبة ،كانوا يتكلمون عنها بصرخة من الألم لشعورهم بأن الفرح انتهى وأن اللهو مضى وأن الشباب فنى، ثم يفرق هذا الموقف بموقف الإنسان في تاريخ كله ويرجع ذلك إلى أن الإنسان يشعر دائما بتهديد القضاء، وتوعد الفناء وهو ينظر إلى الموت اليقين ويلخص حديثه هذا بقوله أن في الشعر القديم مسائل شبيهة بتلك التي تثيرها الفلسفة الوجودية. [1]

ونستخلص من رأي فالتر براونه في نظرته إلى المقدمة الطللية أنها تخضع لفكرة واحدة وهي القضاء و الفناء ،والتناهي فالشاعر الجاهلي يشعر بتهديد القضاء فاتخذ من المقدمة الطللية مجالاً للتعبير عن هذه الأحاسيس التي يشعر بها ،في نفسيته وتكون فرصة له للتعبير عن خوفه ورغباته وعن مصيره المجهول ويدعونا إلى النظر مقدمة النسيب في القصائد الجاهلية بصفة خاصة على أنها كانت تعبيراً عن أزمة الشاعر في ذلك العصر .

وحاول أيضاً الدكتور يوسف خليف أن يعلل وجود المقدمات الطللية في القصيدة الجاهلية ووصلها وصولاً محكماً بحياة العرب التي قامت على انتجاع مساقط الغيث ومنابت الكلأ وقد ربط وجود المقدمات الطللية بسبب حياة القبيلة التي لم تكن معقدة وإنما كانت بسيطة قليلة الأعباء والتكاليف تتخللها فترات فراغ كانت تتطور في بعض الاحيان، وخاصة في أيام الربيع عندما تتحول البادية إلى جنة خضراء ينطلق البدو فوقها يسيمون ابلهم وأنعامهم وشاءهم. ولم يكن هناك بد من أن تملأ أوقات الفراغ بأي شيء حتى لا تستحيل الحياة معها معا فراغا باردا لا إحساس فيه بالوجود، وشعور بالضياع في الصحراء المترامية الأطراف التي يخيل للإنسان فيها أنه

[1] – ينظر ،حسين عطوان ،مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ،ص218

يعيش في عالم لا يعرف الحدود، ولا يدرك معنى النهاية، وقد حددت ظروف البيئية والحضارة في المجتمع الجاهلي وسائل حل هذه المشكلة، مشكلة الفراغ في ثلاث اتجاهات أساسية: [1]

الخروج إلى الصحراء الرحلة أو الصيد، والالتقاء بالرفاق لشرب الخمر أو لعب الميسر ،والسعي خلف المرأة طلباً للحب والغزل ،ومن بين هذه المتع يبرز الحب لوناً مشرقاً في لوحة الحياة الجاهلية وهي متعة هيأ لها الفراغ الطويل ،وساعدت عليها فرص اللقاء التي كانت تتاح في المراعي أيام الربيع حين يدب الخصب في كل شيء بالبادية ،وحلل مقومات كل لون من ألوان المقدمات وعناصره تحليلاً دقيقاً أخضع المقدمات جميعاً لغرض واحد هو أنها كانت حلاً لمشكلة الفراغ .[2]

ونستنتج من خلال ما ذهب إليه يوسف خليف أن المقدمة الطللية في قصائد الشعر الجاهلي، قطعة فنية جميلة نابضة بالحياة زاخرة بالمشاعر الحارة يفرغ فيها الشاعر لنفسه قبل أن تجرفه بعيداً عنها التيارات القبلية العنيفة التي لا يملك لها هدفا.

قضية الانتحال :

تعتبر قضية الانتحال من أهم القضايا النقدية في تراثنا العربي القديم ، إذ حظيت باهتمام الكثير من النقاد والدارسين القدامى و المحدثين حيث أثارت الكثير من الجدل و الخلاف ، وعرفها العصر الجاهلي و الأموي و العباسي ، ولمعرفة هذه الظاهرة ينبغي التطرق إلى مدلولها المعجمي والاصطلاحي .

الانتحال لغة :

وجاء الانتحال في معجم مقاييس اللغة لابن فارس :

[1]- ينظر ،حسين عطوان ،مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ،ص224

[2]- ينظر ، المرجع نفسه ،ص225

" نحل : النون والحاء واللام كلمات ثلاث : الأولى تدل على دقة وهزال و الأخرى على عطاء والثالثة على ادّعاء ، نحل جسمه نحولا فهو ناحل إذا دقّ ، وأنحله الهمُّ ، و الناحل : السيوف التي رقت طباتُها من كثرة الضرب بها ،والثانية نحلته كذا ، أي أعطيته كذا ، والاسم النحل ، قال أبو بكر : " سمي الشيء المعطى النحلان " ويقولون : النحل أن تعطي شيئاً بال استعواض ،ونحلت المرأة مهرها ، نحله ، أي عن طيب نفس من غير مطالبة . والثالثة قولهم : انتحل كذا ، إذا تعاطاه ودعاء، وقال قوم : انتحله ،إذا ادعاه محقا ، وتنحله ، إذا ادعاه مبطلا ، وليس هذا عندنا بشيء ، ومعنى انتحل عندنا سواء ، ودليل ذلك قول الأعشى :

فكيْفَ أَنــا وانتِحالي القَوافِيَ بَعدَ المَشِيب، كفَى ذاك عارا ".[1]

الانتحال في الاصطلاح :

وفي معجم المصطلحات الانتحال هو " أن يأخذ الشاعر كلام غيره بعد علمه بنسبته له بلفظه كله ومن غير تغيير لنظمه ، أو أن يأخذ المعنى وتبدل الكلمات كلها أو بعضها بما يرادفها"[2]

ولم يخفى أمر الوضع و النحل في الشعر الجاهلي فقد انتبه له كثيرون من النقاد و لكشف هذه الظاهرة ينبغي التطرق إلى بعض أراء النقاد وعرض مواقفهم ومن هؤلاء نذكر:

قضية الانتحال عند ابن سلام الجمحي :

ومن أبرز النقاد القدامى الذين لهم فضل السبق في الإشارة إلى ظاهرة الانتحال هو " ابن سلام الجمحي " الذي أشار إليها في كتابه طبقات فحول الشعراء وقد تطرق إلى أسبابه الاجتماعية و السياسية وأشار إلى الخوف على الشعر الجاهلي من الزوال و الاندثار ويقول في هذا الصدد" فلما

[1]- ينظر، ابن فارس مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون ، دار الفكر للنشر وتوزيع، بيروت، د ط،1979، ص 402،403.

[2]- ينظر، مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب؛ د ط، د ت، ص 410.

راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها ، انتحل بعض العشائر ، وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قلّت وقائعهم وأشعارهم ، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع و الأشعار ، فقالوا على ألسنة شعرائهم ، ثم كانت الرواة فزادوا في الأشعار التي قيلت ، وليس بشكل على أهل البادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم ، فيشكل ذلك بعض الإشكال."[1]

ويواصل ابن سلام الجمحي في هذه القضية وقد حصر أسباب الوضع في تزايد بعض القبائل في شعر شعرائها وانتقد بعض الرواة الذين اشتهروا بالوضع مثل: حماد الراوية ثم تحدث في كتابه عن ضياع الشعر في صدر الاسلام بشبب انشغالهم بالجهاد وأشار إلى مشكلة الانتحال في الشعر الجاهلي وأرجعها إلى عاملين رئيسيين هما :

1/ عامل القبائل التي كانت تزيد في شعرها لتزيد في مناقبها ، وكانت العصبية القبلية سبباً في نحل الشعر .

2/ عامل الرواة الوضاعين وهم الذين تزايدوا في الشعر ويقول ابن سلام :

" وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها "حماد الراوية" وكان غير موثوق به وكان ينحل شعر الرّجل غيره ، وينحله غير شعره ، ويزيد في الأشعار ... وسمعت "يونس " يقول : العجب ممن يأخذ عن حماد ، وكان يكذب ويلحن ويكسر."[2]

ويشير محمد بلوحي أن الملاحظات التي دونها النقاد القدامى وخاصة ابن سلام الجمحي حول ظاهرة الانتحال في الشعر الجاهلي أنها مسألة في غاية الصعوبة و التعقيد لأن معظم النقاد اكدوا أن الشعر الجاهلي لم يسلم جله من الوضع و الانتحال .

[1]- ينظر ، ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء الجاهليين والاسلاميين، تح محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، د ط، 1980، ص 474.

[2]- المرجع نفسه، ص 18.

وبهذا نشير أن ابن سلام الجمحي أشار إلى أسباب انتحال الشعر وصعوبة الفصل فيه إلا أنه هذا يدفعنا في البحث فيه وذلك بالاعتماد على الرواة والمصادر لإنارة الطريق.

ومن النقاد العرب نجد رأي الجاحظ في قضية الانتحال المكمل لرأي ابن سلام الجمحي الذي يميز بين الشعر المنحول و الصحيح وقد تعرض الجاحظ إلى قضية الانتحال في كتابه الحيوان وقد حاول أن يكمل منهج ابن سلام الجمحي في التمييز بين الصحيح والمنحول واعتمد في ذلك على شهادة الرواة ، وعلى مبدأ تفاوت الشعر شأنه في ذلك شأن ابن سلام ، ومثال ذلك أنه يروي بيتا منسوباً لأوس بن حجر قوله :

فانْقَضَّ كالدَّرِّيِّ يَتْبَعُهُ نَقْعٌ يَثُورُ نَخالُهُ طُنُبا

ويعلق الجاحظ على هذا البيت بقوله " وهذا الشعر ليس يرويه لأوس ألا من لا يفصل بين شعر أوس بن حجر وشريح بن أوس .

وأضاف الجاحظ إلى الوسائل التي يثبت بها الانتحال والتي ذكرها ابن سلام دليلا جديدا وهو الدليل الداخلي ، فنراه يروي قول الأقوال الأودي :

كشهاب القذف يرميكم به فارس في كفه للحرب نارُ.[1]

ومن هذا البيت نستنتج أن الجاحظ لجأ إلى تحليل البيت تحليلاً داخلياً ومعروف أن القرآن الكريم أشار إلى أن الشهب رجم للشياطين ولم يكن للعربي في الجاهلية علم بها ، ومن هذا التحليل الداخلي استنتج الجاحظ أن البيت منحول ونلاحظ أن الجاحظ كان حاداً في نقده أحياناً إلا أنه أضاف الدليل الداخلي ، وكان يحكم بالموازنة على الشعر إذا كان منحول.

[1]- ينظر، محمد الصايل حمدان وعبد المعطي نمر موسى ومعاذا السرطاوي، قضايا النقد القديم، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن ، ط1، 1990، ص 19.

قضية الانتحال عند المستشرقين والعرب المحدثين :

الانتحال عند المستشرقين :

وقد لفتت هذه القضية ، قضية انتحال الشعر الجاهلي أنظار الباحثين المحدثين و المستشرقين وكان مرجليوث أكبر من أثار هذه القضية في كتابه إذ خصص بحثا مطولا عنوانه " أصول الشعر الجاهلي " نشره في مجلة الجمعية الملكية الأسيوية سنة 1925م وبين رأيه في ضربين من الأدلة الخارجية و الداخلية :

أولاً : الأدلة الخارجية : واستهل موقفه من القرآن في الشعر متحدثاً عن بدء ظهوره ونشأته وآراء القدماء في ذلك ،ثم ينتقل إلى الحديث عن حفظه وينبغي أن تكون الرواية الشفوية هي التي حفظته و قد بين أدلة تدفع كيف أن سلسلة رواياته لم تنقطع حتى عصر التدوين ولكن مرجليوث يذهب هذا المذهب ليقول إنه لم تكن هناك وسيلة لحفظه سوى الكتابة ، ثم يعود فينفي كتاباته في الجاهلية ليؤكد أنه نُظم في مرحلة زمنية تالية للقرآن الكريم ،ويقف عند الرواة المتهمين أمثال حماد وجناد وخلف الأحمر وما كان يطعن به بعض الرواة .[1]

ثانياً : الأدلة الداخلية : وينتقل مرجليوث من ذلك إلى اللغة فيلاحظ أنها لغة ذات وحدة ظاهرة وهي نفس لغة القرآن الكريم التي أشاعها العرب ، ويقول ولو أن هذا الشعر صحيح لمثل لنا لهجات القبائل المتعددة في الجاهلية كما مثل لنا الاختلافات بين لغة القبائل الشمالية العدنانية واللغة الحميرية في الجنوب ، وهو يذكر أن هذا الاختلاف بنوعيه واضح فيما اكتشف من نقوش في شمال شبه الجزيرة وفي جنوبها ثم يختم مرجليوث مقالته هذه بقوله "وإذا كان يبدوا من الحكمة ألا نطلق حكماً على مشكلة النظم العربي وهل يرجع إلى عهد قديم جداً أو هل هو حادث بعد القرآن ، فإن سبب ذلك تلك الصفات المحيرة التي نجدها فيما بين أيدينا من أدلة ونحن في أمان

[1]- ينظر، ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، دار المعارف ،مكتبة الدراسات الأدبية ، ط 5، د ت ، ص 276.

حينما نبحث في النقوش ويصح أن يوثق بالقرآن في بيان حالة العرب الذين أنزل لهم في زمن النبي أما في تاريخ الشعر العربي فلابد لنا من الرجوع إلى مصادر أخرى وهي في أغلبها تبحث في أزمنة وأحوال لا عهد لمألفيها أنفسهم بها وكانت تجاربهم وخبرتهم تقودهم إلى تصديق أمور كثيرة ظللتهم بالضرورة ..."[1]

وقد أشار إلى رأي مرجليوث كل من الباحثين العرب شوقي ضيف وناصر الدين الأسد وابراهيم عبد الرّحمن محمد فأكدوا أن الشعر الجاهلي يصعب الفصل فيه و لا يمكن انكار وجوده.

قضية الانتحال عند العرب المحدثين :

يعرض مصطفى صادق الرافعي قضية الانتحال في الشعر الجاهلي، عرضا مفصلا في كتابه "تاريخ آداب العرب " الذي صدر في سنة 1911م، وسنقف عند حديثه عن وضع الشعر وقفة نلم فيها بما بينه من البواعث في وضع الشعر في الاسلام وسنحاول أن نرتبها في نسق، وكان قد أرسلها في كتابه إرسالا كما يلي:

- ✓ تكثر القبائل لتعوض مما فقدته بعد أن راجعت الرواية، وخاصة القبائل التي قلت وقائعها وأشعارها، وكانت أولاها قبيلة قريش، فقد وضعت على حسان أعارا كثيرة.
- ✓ شعر الشواهد هو النوع الذي يدخل فيه أكثر الموضوع لحاجة العلماء إلى الشواهد في تفسير الغريب ومسائل النحو، وشعر الشواهد في اصطلاح الرواة على ضربين شواهد القرآن وشواهد النحو والكوفيون أكثر الناس وضعا للأشعار التي يستشهد بها لضعف مذاهبهم.
- ✓ الشواهد التي كان بعض المعتزلة والمتكلمين يولدونها للاستشهاد بها على مذاهبهم.

[1]- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص 277.

✓ الشواهد على الأخبار لأنه لما كثر القصاصون وأهل الأخبار اضطروا أن ينحلوا الشعر لما يلفقونه من أساطير، والاتساع في الرواية وهو سبب من أسباب الوضع.[1]

ونستنتج من رأي الرافعي أنه اتبع أراء القدماء في قضية الانتحال حيث حصر الموضوع في الدائرة نفسها التي حصره فيها القدماء وتابع أراء ابن سلام دون معارضة .

قضية الانتحال عند طه حسين 1889-1973

نجد طه حسين اهتم بموضوع الانتحال ووقف على ما قاله الباحثين العرب والمسترقين حول قضية الانتحال، وكون له رأيا في ذلك شرحه في كتابه" في الشعر الجاهلي" وقد أحدث هذا الكتاب ضجة عنيفة، وهذا الكتاب يدور حول رأي طه حسين في الأدب الجاهلي وقد لخصه في قوله" إن الكثرة المطلقة مما نسميه أدبا جاهليا ليست من الجاهلية في شيء إنما هي منحولة بعد ظهور الاسلام، فهي اسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكر مما تمثل حياة الجاهلين، ولا أكاد أشك في أن ما بقي من الأدب الجاهلي الصحيح قليل جدا، لا يمثل شيئا ولا يدل على شيء ولا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصور الصحيحة لهذا العصر"[2]

ورأي طه حسين هذا نتيجة تأثره بآراء الذين طعنوا في أصالة الأدب الجاهلي من المستشرقين خاصة مارجليوت وقد قسم طه حسين بحثه إلى ثلاثة أقسام ودوافع والأسباب التي تدفع الباحث إلى الشك في الشعر الجاهلي وأسباب الوضع والانتحال ،ويشير إلى خضوع العرب لمثل ما خضعت له الأمم القديمة من المؤثرات التي دعت لانتحال الشعر ولعل أهم هذه المؤثرات التي طبعت الأمة العربية وحياتها بطابع لا ينمحي ولا يزول هو هذا المؤثر الذي يصعب تمييزه والفصل فيه لأنه مزاج من عنصرين قويين جداً هما الدين والسياسة .[3]

[1]- ينظر، ناصر الدين الأسد ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمته التاريخية ، ص378.

[2]- ينظر، طه حسين، في الأدب الجاهلي، مطبعة فاروق، القاهرة، ط2، 1933، ص 387.

[3]- ينظر، المرجع نفسه، ص388.

-أما الأسباب السياسية وأراد بها العصبية القبلية فرآها تلعب دوراً واضحاً في شعر قريش والأنصار إذا أضافت قريش إلى نفسها أشعاراً كثيرة وواضح أن هذا أن هذا لم يكن غائباً عن ابن سلام الجمحي فقد نص عليه وحذر منه كما أسلفنا وينتقل إلى السبب الديني فيبين دوره في هذا النحل مشككاً في الأشعار التي يقال إنها نظمت في الجاهلية ارهاصا ببعثة الرسول، وهذا مما رواه ابن إسحاق واحتفظ به ابن هشام في سيرته، ونراه يتحدث عن القصص والقصاص وأثرهم في وضع الشعر، ومر بنا تنبيه ابن سلام على ذلك عند ابن إسحاق وأضرابه ويعرض للشعوبية وما يمكن أن تكون قد نحلت الجاهليين من أشعار .[1]

ويمضي طه حسين لبيان الانتحال في شعر طائفة من شعراء اليمن ويبدأ دراسته من امرئ القيس و يتشكك في شعره لأنه يمني وشعره قريشي اللغة ثم هو شعر مضطرب ركيك وما دعم ظنه هذا ما يروى عن الأصمعي قال "كل شيء في أيدينا من شعر امرئ القيس فهو عن حمادة الراوية إلا نتفا سمعتها من الأعراب وأبي عمرو بن العلاء "[2]

وفي الأخير نستنتج أن طه حسين شكك في الشعر الجاهلي ووصفه بأنه منحول موضوع لأنه لم يصلنا إلا عن طريق الرواية الشفوية وأن التشكيك في التراث العربي كان هدفه هو الطعن في القرآن الكريم ،ومما تقدم نلمس الأهمية البالغة لهذه القضايا .

[1]- ينظر، طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 136.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص 137.

نقد و تقويم :

عتبة العنوان : من خلال دراستنا لهذا الكتاب " آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ، لمحمد بلوحي ، تبين لنا أن العنوان مطابق تماما للمضمون، وذلك لأن الكتاب تحدث في ثنايا فصوله عن أهم القضايا البارزة في تراثنا النقدي وشغلت النقاد قديما وحديثا.

الحكم على الكتاب من الجانب المعرفي :

يعد كتاب محمد بلوحي، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي مرجع مهم لكل الباحثين في مجال الدراسات الأدبية و النقدية، وذلك نظرا لقيمته و أهميته، ولما يحتويه من موضوعات وقضايا هامة كانت ولاتزال قيد الدراسة

أهم الاعتراضات و الانتقادات التي وجهت لهذا الكتاب :

لم توجه أي انتقادات واعتراضات مباشرة لهذا الكتاب، لكن نحن وبجهدنا المتواضع وقراءتنا لهذا الكتاب حاولنا أن نسلط الضوء على بعض النقائص التي لا بد من ذكرها :

– أن الكاتب محمد بلوحي في كتابه آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي، لم يأتي بجديد وإنما قام بجمع المادة المعرفية فقط.

خاتمة

خاتمة :

في الاخير نستنتج جملة من النتائج من خلال دراستنا لكتاب "محمد بلوحي آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي" منها:

- أن كثير من الدراسات وقعت في تكرار وترديد نفس المادة التاريخية ليجد الباحث أنه يدور حول نفس المادة العلمية وهو يقرأ أكثر من مؤلف.
- إشكالية أولية الشعر الجاهلي من القضايا الكبرى التي درستها القراءة التاريخية وحاولت الفصل فيها.
- العلماء العرب وضعوا علما خاصا حدد بمقاييس صارمة كانت أساس رواية الشعر الجاهلي رواية علمية.
- تعمل القراءة التاريخية لتأسيس قراءة فيلولوجيا للتعامل مع الشعر الجاهلي في رواياته ونصوصه وتحقيقها وتمحيصها وتمييز الصحيح من المنتحل.
- يتعامل النقد النفسي مع الظواهر الإبداعية بخلفيات معرفية أساسها مبدأ اللذة ومبدأ الواقع.
- المقدمة الطللية من الظواهر التي حاولت القراءة النفسية مقاربتها في دراستها للشعر الجاهلي.
- جمالية المكان والزمان مرتبطة بسر الوجود وثنائية الحياة والفناء.
- اهتمت الدراسات النفسية الحديثة بظاهرة القلق كسلوك نفسي، كما نجد له حضور مميز في الشعر الجاهلي.
- تسعى القراءة الأسطورية إلى تأسيس أطروحاتها حول ميثيودينية الشعر الجاهلي.
- وقوع القراءة الأسطورية في التشابه في الطرح والنتائج عند جل القراءات.
- دراسة قضايا الشعر الجاهلي لكل من العرب والمستشرقين.
- يبين الكاتب محمد بلوحي أنه بالرغم من قدم الشعر الجاهلي إلا أنه مركز اهتمام النقاد المحدثين نظراً لقضاياه الكبرى الشائكة التي لم يفصل فيها بعد.

قائمة المصادر والمراجع

.قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن سلام الجمحي ،طبقات فحول الشعراء ،تحقيق محمود محمد ،دار المدني ،القاهرة ،مصر ،د ط ،د ت.
2. ابن فارس مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون ، دار الفكر للنشر وتوزيع، بيروت، د ط،1979.
3. ابن منظور ،لسان العرب ،دار صادر بيروت ،طبعة جديدة منقحة ، د ت .
4. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،الحيوان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجبل ،لبنان ، ط 2 1965.
5. حسين عطوان ،مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، دار المعرف ، مصر ،د ط، 1970 .
6. سامي يوسف أبو زيد ،الأدب الجاهلي، دار المسيرة للنشر والتوزيع ،عمان ، ط1، 2011.
7. عبد العزيز بدوي ،دراسات في الأدب الجاهلي ،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،القاهرة ، د ط، د ت.
8. مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب؛ د ط، د ت.
9. محمد الصايل حمدان وعبد المعطي نمر موسى ومعاذا السرطاوي، قضايا النقد القديم، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن ط1، 1990.
10. ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، دار المعارف ،مكتبة الدراسات الأدبية ، ط 1.
11. يوسف خليف ،دراسات في الشعر الجاهلي ، دار الغريب ، القاهرة ، د ط ، 1981

فهرس الموضوعات

فهرس المحتويات	الصفحة
كلمة شكر	-
إهداء	-
بطاقة فنية	-
مقدّمة	أ – ب
مدخل	04
الفصل الأول: تلخيص محتويات الكتاب	
القراءة التاريخية	10
القراءة نفسية	21
القراءة الأسطورية	31
الفصل الثاني: دراسة وتقويم	
قضية أولوية الشعر الجاهلي	46
قضية المقدمة الطللية	48
قضية الانتحال	52
نقد وتقويم	60
خاتمة	62
قائمة المراجع	64
فهرس المحتويات	66